67

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود

رائحة الدم



دكتور مصطفى محمود

25 June 2010
Riyadh
KSA

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

الأعمال الكاملة
للدكتور
مصطفى محمود

منتديات مكتبتنا

6 222007 800016 46

الدكتور مصطفى محمود

رائحة الدم

الحصـــان

الخواجه ديمترى تاجر كبير .. رأسماله مليون جنيه .. وهو يذهب كل يوم إلى البورصة ليبيع كل شيء .. حتى ذمته .. إذا وجد أنها صفقة رابحة ..

وهو عضو فى عدة شركات .. ومتعهد لعدة أصناف نادرة .. ومالك لمخازن غنية بالبضائع الحرة الخارجة عن التسعيرة من الصوف الإنجليزى الفاخر إلى الحديد الخردة ..

وهو يقول دائماً إنه غلبان .. ومديون .. لأنه يتوسع .. ويتوسع.. باستمرار .

– انا مسكين أعمل إيه . عشان أخسر فى بيع الخيش بقلب .. لازم أكسب فى بيع الحديد .. التاجر مننا غلبان يا حبيبى طول عمره عايش على كف عفريت ..

وديمترى ليس له قلب ..

إن قلبه هو البورصة .. إذا ابتسمت له البورصة ابتسم بدوره للتجار الصغار وبسط لهم يده وخفض أسعاره .. وإذا كشرت له البورصة كشر بدوره للتجار الصغار وعضهم بنابه حتى أدماهم.

■ ■ ■

وقد طالعته البورصة اليوم بتكشيرة عريضة فأحس بأنه لا يستطيع أن يحب التجار كما تعود أن يحبهم كل يوم .. وشعر برغبة لا تقاوم فى رفع سعر الحديد الخردة الذى يملكه فى المخزن .. وخط فى نوتته عدة أرقام بالقلم الرصاص ..

وفعلت الأرقام فعلها .. وبلغ أثرها خواجة آخر صغير يتاجر فى نصف مليون جنيه فقط ..

وكشر الخواجه الصغير بدوره ورفع سعر الصفيح .. وقال وهو يلوح بذراعيه لكل مَنْ يقابله :

– أنا أعمل إيه .. أنا غليان .. أنا نقلس إذا كنا نبيع بزى الأول شوف الحديد الخردة بكام .. شوف الحديد الألواح بكام ..

وانتقل الأثر من تاجر إلى تاجر حتى بلغ البك الذى يبنى عمارة على الكورنيش ..

وجد البك نفسه أمام فاتورة مفزعة ..

كمرات حديد .. أسياخ صلب .. أسمنت .. طوب .. مونة حجارة، وخام ، جبس ، صاج ..

ولم يجد مَنْ يصب عليه نقمته سوى السكان فرفع الإيجارات إلى الضعف .. وضغط على نفقات المقاولين .. ثم استرخى فى النهاية على الكرسى الوثير تحت الأباجورة فى منزله العامر وتمطى وطرقع مفاصله وقال فى تعاسة :

- أعمل إيه .. أنا غلبان .. شوف الطوب بكام .. شوف الأرض بكام .. شوف شوال الزلط بكام .. شوف الجير بكام ..

■ ■ ■

وكان آخر مَنْ بلغته الدوامة هو عم بيومى العريجى الذى خرج بعربته الكارو سارحاً على باب الله فصادفته شيلة مغرية هى حمولة مواسير ينقلها من القلعة إلى شارع الكورنيش حيث تقوم عمارة البك بأدوارها العشرة ..

وفرك عم بيومى يديه بحلاوة الاستفتاح وبدأت المساومة .. وكانت مساومة قاسية ..

ولم يدرك بيومى أن عليه أن يدفع كل فروق الأسعار التى ظلت

تنتقل من تاجر إلى تاجر ..

ولم يرهق ذهنه بالتفكير فقد كان عاطلا وفى حاجة إلى قرش فقبل الشيلة بنصف أجرها .. وبدأ يصف المواسير ماسورة ماسورة على العربة .. ثم نظر إليها بعد أن اكتملت وطرقع بكرباجه .. وكان يشعر أنه مغبون وأنه مسكين جداً .. جداً .. ولم يجد أمامه سوى الحصان فهوى بكرباجه على جسده وهو يصرخ..

– هيه .. يالله .. هم .. هم .. هيه .

وجذب الحصان نفسه إلى الأمام ، ثم تقهقر فى ضعف وتخاذل ، وكان الحصان هزيلا متقطع الأنفاس ولم يكن قد أكل فى ذلك اليوم إلا حفانا صغيراً من الشعير هو كل ما يملك عم بيومى من طعام .. ولسعه بيومى لسعة أخرى على أضلاعه .. وكان الكرباج هذه المرة حامياً فألقى الحصان بنفسه إلى الأمام وراح يخلع سيقانه خلعا من الأرض وهو يلهث ..

وتزحزح خطوتين .. ثم ثلاث خطوات .. ثم بدأ يسير وقد تدلى لسانه .. وما كاد يقطع مائة متر حتى فقد توازنه وسقط على الأرض كومة من اللحم .. وما لبث أن أسلم الروح ..

وتجمع حوله المارة القليلون فى هذا الوقت المبكر من الصباح

وكانوا كلهم يشتمون العربجي .. وكان العربجي يبكي كالطفل .. أما الحصان الميت فكان مطروحاً على الأرض وعيناه إلى السماء .

لقد حمل المجتمع كله على ظهره .. بما فيه من تجار وملاك وعمال .. مائة متر إلى الأمام .. ثم سقط تحت ثقله .. وفقد حياته دون أن يقدم بها فاتورة حساب ..

الشيء المجهول

يستوى أى وقت وأى يوم وأى فصل من فصول العام ، وأى سنة من سنى العمر .. فالكل نسخ متشابهة لاصل واحد ولا شيء غير التكرار . التكرار الممل .. فحياته تسير .. بلا جديد .. الغد فيها مثل الأمس والحاضر كالماضى .. لا عمق في أحزانه ولا عنف فى مسراته .. لا ضحكات ولا دموع .. وإنما بسمات صفراء .. وأشجان عابرة لا تهز القلب ..

وإنه ليستطيع أن يتنبأ بما سيحدث كما تتنبأ المراصد بحركات النجوم .. لأن تتابع حياته أصبح آليا يحكمه قانون جامد صارم لا روح فيه ..

هو سيفتح باب العربة القديمة ويتهيأ للنزول .. فينبح الكلب .. ويقف البواب العجوز يتثاءب ويؤدى التعظيم .. هو سيطأ الممر

المرصوف بالحصى ويصعد الدرجات الخمس ويضغط على الجرس .. فيطل الخادم الأصلع الذى يؤدى نفس الدور من عشرين سنة .. ليفتح الباب .. ويجرى خلفه وهو يعرج .. ويضىء نور غرفة النوم .. ويمسك قطع الأثاث .. واحدة بعد أخرى بنفس الترتيب فهو يبدأ بالشماعة ثم بالكرسى ثم بالدولاب .. ثم يقف بعد هذا كالتمثال يتلقى المعطف والجاكتة وباقى الثياب قطعة قطعة.. يعلقها على المشجب ، ثم يفتح فمه قائلا نفس الكلمات ..

– العشاء جاهز يا سيدى .. هل تريد شيئاً ؟

فيجيب نفس الإجابة :

– لا .. وشكرا ..

وتمر عشر دقائق بالضبط وتتيقظ زوجته فتتمطى وتتثاءب وتجلس .. ثم تقف فى روب النوم .. لتقول الجملة التى لا تتغير :

– لقد تأخرت كثيراً هذه الليلة .. إن هذا السهر يؤثر فى صحتك ..

فيقول فى جفاف كالعادة :

– إن صحتى ملكى .. وأنا حر أفعل بها ما أشاء وقد نبهت ألف مرة بألا يعود الكلام إلى هذا الموضوع .

ويحاول أن يعصب في صدق وحرارة ... ولكن هذه الحرارة ستطفىء ، وستحول إلى مجرد ضجر ... وتخونه الكلمات فيسكت ويسرح الطرف إلى النافذة المفتوحة حيث الفضاء وحيث المئذنة المضيئة وخفقات الطاحون تخفق وتغرق في نقنقة الضفادع إلى الصورة المعلقة بالجدار إلى وجه زوجته الفاتن ... فتعجز الفتنة ويعجز الجمال ويعجز الشعر الأثيث الفاحم والعينان السوداوان والوجه المستطيل والقوام الشمعي ... ويعجز كل هذا عن أن يحرك فيه ساكناً ... وكأنما العواطف قد ماتت واندثرت في مقبرة العادة

أين ذهب ضحك الطفولة الذي كان يجلجل كالجرس الفضي وقد خرج من حبة القلب فاهتز به الجسم كله ... وأين ذهبت أحلام الصبا ... التي كانت تبعث الدمع سيلاً في العينين ... أين رجفة الأمل ... ورعشة الخوف ... وتوثب الإرادة ... أين اللحظات ؟ كل لحظة منها جديدة مفعمة بالشعور طافحة بالحياة ... أين الحب أين السعادة ... أين الحزن العظيم ... أين الفرح العظيم ؟

إنه يملك ما يحلم به الناس ... يملك امرأة جميلة ونبلا وعزة وثقافة ومالا وفراغاً . وكل شيء . فما باله لا يحس بشيء ..

وتجثم عليه هذه الخواطر كالكابوس ... وفي خلالها يسمع زوجته وهي تروح وتجيء قائلة

لقد سجنت الحساء يا عزيزي .. وجهرت المائدة

فعجنني نفسه دون أن يرى هذا الحساء .. أو يسأل أهو حساء السمن أو حساء اللحم أو حساء الخضار .. وينقبض حلقه .. وقد تهيأ ليرفض أي شيء .. حتى الماء القراح .

يجب أن يكون في حياته شيء جديد .. يجب أن يفتح مصراعي هذه الوحدة كل أسبوع ليستقبل عدداً من أصدقائه في ليلة صاخبة تمتلىء بالطعام والشراب والإشاعات والحديث والثرثرة فهذا الحساء الذي يتذوقه لسان واحد شيء آخر غير نفس الحساء الذي تتذوقه عشرات الألسن

■ ■ ■

أكانت فكرة صائبة ..

لقد فتح مصراعيه ليلة الخميس من كل أسبوع لأصدقائه يأكل ويشرب ويثرثر معهم . ولكنه ازداد تأكداً من فشله .. وقد رأى نفس الملل ونفس الضجر يطل من خلف العيون الأخرى .. فهي تضحك .. وتبتسم .. وتصغي .. وتتحمس .. ولكن الافتعال يطل من خلفها جميعاً . فالضحكة لا تلبث أن تخفت وتحتبس في حلق صاحبها . وتحل محلها حيرة تستدير الشفقة .. والحماسة

تنطفىء وتخبو وقد وجدت أنها لم تجتذب الأسماع وشيطان التكرار يطبع كل طرافة بطابع العادية ويجعل من كل شخص آلة لها قوانين تحكمها فالذي يبكر بالحضور يبكر دائماً بالحضور والذي يتأخر يتأخر على طول الخط حتى ليستطيع أن ينبأ بالاسم من دقة الجرس فإذا فتح الباب فلكل شخص مشية لا يغيرها ، وتحية لا يبدلها فالذي يعنق ويقبل يفقد كل طرافته حينما يعاود في المرة الثالثة نفس القبل والعناق والأشواق فإذا جلس فليس جديداً أن يضع ساقاً على ساق أو يطرق المائدة بأنامله أو يتحسس شعره أو يتطلع في المرآة فكلها أفعال آلية خالية من الجدة والاختراع و لأحاديث نفس الأحاديث والإشاعات نفس الإشاعات الأفلام السخيفة والجو والزكام والأطفال والحرب والفضائح والوفيات والأزمات ثم تثقل العيون وتثقل الألسن وتنتهي القصة لتعاد بشكل آخر وبألسن أخرى وعناوين أخرى وتزداد العيون ثقلاً والألسن بلادة والأفواه تثاؤباً ثم تهب الجماعة تبسط أكفها بالسلام واحداً بعد آخر ويخلو البيت إلا من سحب الدخان الكثيف ، ورائحة الكئوس والزهور والطعام وكابوس الملل الرهيب ..

إن بضعة أشخاص يدخلون ويخرجون لم يفعلوا أكثر من أن يكونوا عدة مرايا تنعكس عليها التفاهة والسأم والتكرار الممل

إن حياته ينقصها شيء شيء لا يعرفه شيء كالروح في الجسد ، فما هو ؟

إنه يقرأ الكتب ويسمع الموسيقى ويخرج إلى الحقول ويرتاد المسرح ويجري ساعتين في الصباح حتى يهث ويصلي أحياناً ولكنه لا يصل إلى هذه الروح أبداً هذه الروح التي ترسل ابتسمة مشرقة على الشفتين ، وتبعث حب الحياة يتسلل إلى كل جزء من الجسد حتى أطراف الأنامل

إن أشعة الشمس تدق قلبه المغلق فلا تجد منفذاً إلى روحه التي ترتجف من البرد ، فهو يعيش في عزلة في برج في قلعة مسورة لا تصل إليها أصوات الحياة .

إن في الورده التي تفتح أكمامها لشعاع الفجر وتدير ثغرها نحو مشرق الشمس شيئاً لا يوجد فيه فهي تتجاوب مع وجودها الصغير فترد ابتسامته بابتسامة وإشراقه بإشراقة ، وحركته بإيماءة رشيقة جميلة أما هو فلا يتجاوب مع شيء وقد فقد صلته بكل الأشياء ، وبدأ يشك في كل القيم وكل الموجودات فالحياة في نظره لا معنى لها لأنها مجموعة مقدرات وأحداث حتمية لا أثر فيها للحرية وإنما هي تحدث هكذا لأنها لابد أن تحدث هكذا ولا أثر لإرادة الإنسان فيها ، ومن ثم

لا حكمة لوجوده ولا معنى لفرحه وحزنه وضحكه وبكائه .. ولا معنى لأن يلد ويلد ويتكاثر ليكرر حياة واحدة ونهاية واحدة ..

وهو مع هذا يشك في شكه ، ولا يخرج من مأساته بغير التحنط وبكابوس من الملل يجثم عليه ليسحقه ويسحق آراءه

لا بد من عمل شيء .. إن الضجر يقتله ..

■ ■ ■

إنها لتجربة .. أن يلعب الإنسان القمار .. أن يعيش في تساؤل وتوقع وترقب وأمل ويأس ومفاجآت لا تنتهي .. حيث لا شيء يتكرر أبدا ..

إنها لتجربة تلهث فيها الأنفاس .

■ ■ ■

وهكذا بدأ يقتل الضجر ويقتل نفسه في وقت واحد

في غرفة مغلقة تموج بالدخان .. كان يجلس إلى جوار رجل ذي وجه مضلع مستطيل وأمامهما رجل هزيل ضامر .. والورق يدور .. وخيوط الدخان تتصاعد من أطراف الأصابع .. والمال يتراكم ويختفي .. والحظ معلق على كلمات مقتضبة على أطراف

لألسن لا أحد يستطيع ن يتنبأ بمصيره ولا أن تجتهد إلا في حدود ولا أن نضع قانوناً للكسب ولا قانوناً للخسارة إنما في الخبط العشوائي والقوى المجهولة التي تختصر الماضي والحاضر والمستقبل في ورقات وهذه الدبالات الإنسانية تترقب يشعلها فضول لا يحد .

وتشق الصمت كلمات قليلة وينقر الرجل ذو الوجه المصلع على المائدة ويعود الصمت يغلف الجميع إلا من حفيف الورق وهو يدور والمال وهو يدهر والمال وهو يجيء

■ ■ ■

إنها التجربة ..

لقد قتل امل حقاً ولكن بسلاح من العجز والخيبة وبثمن باهظ فهو يشحن كل لحظة بجزء من ثروته وعقله وصحته ليجعل منها في النهاية لحظة جديرة باهتمامه كمنْ يلقي بثيابه وحافظة نقوده وعائلته في البحر ليصبح النظر إلى البحر بعد هذ مثيراً لا يبعث على الملل ..

لقد أحس بالإفلاس أحس بأنه يستجدي الفرح ويستجدي الحزن . ويفتعل المفاجآت ويزيف العواطف فأسدل هذا

الوعي الحديد على التجربة التي نجحت ستارا شفيفاً من القلق والشك جعل ينسحب مع الأيام إلى جدار صفيق من اليأس

ومع هذا فقد ظل يقامر ويحتمي بالعند والإصرار هرباً من قبضة اليأس التي عرفت طريقها إلى قلبه فجعلت منه قلباً ثقيلاً لا يفرح بالكسب ولا يحزن للخسارة ولا يهتز أمام المفاجآت ولا يعبأ بتقلب الحظوظ قلباً ميتاً بليداً راكد الدم

لقد فشلت التجربة أخيراً ومات الفضول وشيئت الجدة وتحولت البدعة إلى عادة .

إن لعب الورق لا يعوض الإنسان عن الحياة وليس ارتجاف القلب أمام الكسب والخسارة هو سعادة الوجود التي كان يطلبها فإن الطفل ليرتجف من الفرح ويهتز بدنه كله إذا عثر على بكرة يدحرجها على الأرض بكرة صغيرة فارغة

إن اللغز ما زال باقياً والمشكلة على حالها ما زالت حياته ينقصها شيء يجهله شيء عبر لعب الورق

■ ■ ■

وأوقف عربته بقدمه وتهيأ للنزول ، فسمع الكلب وهب البواب العجوز يتثاءب ويؤدي التعظيم وسار على الممر

المرصوف بالحصى وصعد الدرجات الخمس وضغط على الجرس، فأطل الخادم الأصلع نفس الخادم الأصلع ليفتح الباب ويضيء نور غرفة النوم ويمسح الأثاث قطعة قطعة بنفس الترتيب ويقول إن العشاء جاهز ثم تيقظت زوجته لتقول كالعادة إنه تأخر في السهر وإنه يؤذي صحته

وكاد يفقد أعصابه هذه المرة ولم تفهم زوجته لصياحه معنى ، فهي لم ترتكب جريمة أما هو فكان يود لو أنها ارتكبت جريمة حتى تتغير النغمة التي كانت عليه كل يوم وذهب إلى المرآة ليقف طويلا .. يتأمل نفسه ..

إن أظافره طويلة وشعره ليس حليقاً كما يجب وهو يحس بأن حذاءه ضيق وصدره ضيق وإن الغرفة كلها أضيق من ثقب إبرة والعالم الفسيح الأرجاء قبر مظلم رطب يخنق الأنفاس

وسمع ضحكة الطباخ تطوف بأرجاء البيت وسمعه يقول لزوجته

لقد كنت أبحث عن علبة الثقاب ثم اكتشفت أخيراً أنها في يدي .. أليس هذا غريباً ؟

وسمع زوجته تشاركه في ضحكة بربرية ويقول إنه

« مسجون » وإنه سيأتي عليه يوم ينسى فيه أولاده

وعجب لهؤلاء السذج كيف يضحكون على مثل هذه التفاهات وسرح الطرف في الظلام عبر النافذة إلى المدينة البعيدة والحقول والصفصاف والطاحون .. وما لبث أن ارتدى معطفه وخرج .. هذه المرة بدون عربة .. وانتصب على قدميه .. ليضرب في الظلام الدامس.. لا يلوى على شيء ..

ولعله قد قطع عدة أميال .. وعبر عدة أحياء دون أن يدري فقد كان مستغرقاً في أعماق نفسه .. تتوزعه شتيت من الأفكار والخواطر فلا يدري أين تذهب قدماه وماذا يدور حوله .. ولو سئل فيم يفكر .. لأجاب .. لا في شيء .. فلم يكن في رأسه شيء بالذات .. وإنما تهافتت الصور وأحاسيس غير مترابطة تترك خلفها شعوراً ملحاً بالفراغ ..

وأفاق فجأة ليجد نفسه في شارع تستعرضه عدة دواليب حمراء .. وأكوام من التراب .. وخنادق .. وآلات الحفر ومواسير .. وحصى .. وبضعة من الآدميين مكومين حول نار موقدة .. يثرثرون ويقضمون قطعاً من الخبز .. يشربون بعدها رشفات من الشاي الأسود ..

وخطر له أن ينضم إلى هذه الثرثرة فترة من الوقت .. فاستند

إلى جدع شجره وأشعر لدهـة من البيع واستغرق يتأمل هؤلاء لناس من خلال حلقات الدخان التى أحاطتهم كالإطار

كان المتكلم رجلا ذا سن واحدة فى فمه وشارب كثيف ووجه بارز العظام مليء بالتجاعيد وكان يوجه الكلام إلى شاب نحيل فى مواجهته بينما راح الباقون يستمعون وهم يقضمون الخبز ويرشفون الشاى ..

قال وهو يلوح بقبضته فى الهواء :

اقسم بالله العظيم يا شيخ لو استطعت أن أسرق لسرقت إن الواحد منا يحب أن يعيش .

- صلى على النبى يا راجل صلى على النبى إنك تعيش فى أمان الله وتأكل وتشرب دون أن تحتاج إلى السرقة ما هذا الكلام ؟

انى آكل هذا صحيح والكلب يأكل وكل مخلوق فى الأرض له رزق ولكنى آدمى ليست حياتى كلها خبزاً وإداما إن لى أملا ولا أريد أن يحفر ابنى الأرض وينزح عقلى المجارى ويدل الأسفلت وأن تذهب سبعون سنة من العذاب والشقاء بلا كفارة إن الحياة لا طعم لها بلا أمل اريد أن أعلم

أن هذه الأرض حياة أصبح .. وأن عرقي لم يذهب عبثا .. أريد أن يكون ابني متعلم .. يقرأ ويكتب ولا يجلس مثلي على الأرض .. أهذا الأمل حرام على أمثالي ؟

وعاد يلوح بيده وقد اشتعلت عيناه بحماسة متأججة وتوثبت فيهما الإرادة .

– ومن قال إنه حرام ؟ إن الأمل في رحمة الله واجب .. وكلنا نعيش على الأمل .. وسنحقق آمالنا .. ويعيش أولادنا كما نريد أن يعيشوا .

كيف يحدث هذا ؟ إن المعجزات لا تحدث في هذا الزمان .. إن العمر محدود يا عمي .. وقد شخت وانحنى ظهري . وأصبحت أيامي على الأرض محدودة .. وستتكرر المأساة .. ويعيش أولادي وأحفادي كما عشت

وأطرق صامتاً برهة وقد وضع رأسه بين كفيه ، ثم رفع عينيه فجأة وأمسك بكتفي محدثه وراح يهزه في عنف .. وهو يغمغم في خشونة وقد تلألأت في عينيه الدموع .

أريد أن أعيش ، أريد أن أعيش عشر سنوات أخرى .. عشر سنوات أربي فيها أولادي .. أتفهم ؟

ستعيش يا عمي .. ستعيش حتى تدفنا جميعاً

- أدفنكم .. إن هذا خبر سار حقاً .

ولقد سر بهذا الخبر حقاً .. سيدفنهم جميعاً بيديه .. فقد راح يحملق في الفراغ وقد أشرقت عيناه بأمل لا يحد .. بينما تصايحت عدة أصوات في وقت واحد :

- أعوذ بالله .

وانحنت الأفواه على أكواب الشاي .. بعضها يبتسم وبعضها يضحك .. وبعضها يحلم .. وفي ناحية منعزلة جلس اثنان يتساران حديثاً خفيفاً ما لبث أن ارتفع حتى أصبح صخباً وصخباً ثم تحول إلى معركة .. وقد أمسك أحدهما بتلابيب الآخر وأخذ يصيح :

العشرة قروش يا بني آدم .. العشرة قروش .

وهب عدة رجال في وقت واحد .. وسمعت عدة صيحات وكلمات مختلطة :

صبرك يا حلبي .. اتهدوا بالله يا جماعة .. اتلم أنت وهو اخرس .. اللهم اخزيك يا شيطان .. بقى ده ذنبي اللي سلفتك بقى أنا أبويا كلب برده .. الله يسامحك .. صحيح ما يبوب المخلص .. يخدع عيب ده احنا أخوات وما يصحش كده .. يا حلبي

ارجع بقه مفيش حد مالى عينك يا أخى .. أوع ايدك

ولكن يد الدعبة كانت قد انقضت تلطم وجه غريمه وتغور فيه بأظافرها ، فتترك ندبة طويلة يسيل منها الدم

، كثر الصياح والتدافع بالأيدى .. وتوالت اللطمات ، ثم بدأ الهدوء يعود وتفرقت كتلة اللحم الى عدة أفراد يصلح كل منهم ثيابه ويشتم .. ويلعن ويبصق على الأرض .. وأحد العجوز ذو السن الواحدة يقول فى عتب

- بقى دى آخر العشرة يا جماعة .. بقه كده يا خليل تضرب أخوك .

ولم يكن لدى خليل شيء يقوله فجلس وحده على كومة من الأتربة يحملق فى النار وقد أكلت الخشب وأحالته إلى رماد تتوهج فيه خيوط قليلة حمراء .. وظل العجوز يتكلم .. وظل كل واحد يتكلم .. وظل خليل صامتاً لا يبدو عليه أنه يسمع شيئاً سوى طقطقة الجمر .. ومر وقت ليس بالقصير .. كانت سحنته فى أثنائه تتبدل وسماته تتراخى .. ثم شوهد أخيراً وهو يحل منديله المتسخ من حول رقبته ويذهب إلى غريمه فى صمت ، ويشرع فى تضميد جرحه .

وكان الاثنان يبكيان ..

■ ■ ■

وأشعل الرحل المستند إلى جرع الشجـرة لفافة التبغ العاشرة وراح يحملق فى انار هو الآخـر . ويصغى إليـهـا وهى تطقطق وتخبـو ومن حولها تتجمع هذه الوجوه النحـاسية كأنهـا وجوه مخلوقات من عالم آخر يراها لأول مرة

وكان يختلس النظر إلى الاثنين الذين كانا منذ برهة يقتـتلان وقد أحـاط كل منهمـا عنق الآخر . وانحنى ظهرهمـا فى تعبـير صامت لضعف الإنسان وذلتـه . وقد لمع وهج النار النحاسى على صفحتى وجهيهما وتلألأت عليهما حبات الدموع

وخيل إليـه أنه يرى للمـرة الأولى صـورة صـادقـة لأحـزان الإنسان .

وحينما استدار ليعود أدراجه لم يستطع أن يمحو هذه الصورة التى فـتحت أبـواب قلبه المغلق فـتـدفق منه طوفـان من المشاعـر الحبيسة

لم يسـتطع أن يمنع قلبه من أن يحزن ، ولم يسـتطع أن يمنع روحـه من أن ترتجف فى سـجنهـا وهى تتطلع إلى هذه الوجـوه الحانية الخشنة . وهى تـقطع عليه الطريق وتخرج عليه من طوايا الظلام وفـى يد كل منهـا فـانوس يسـبح فى هالة مـن الوهج النحاسى

وحينما بلغ بيته لم يلحظ ان البواب قد وقف يتثاءب ويؤدى التعظيم ولم يسمع نباح الكلب ولا صلصلة الحصى تحت قدميه ولم ير لخدم الأصلع وهو يجيب دقة الجرس فقد كانت أذناه ترعدان بهذا الصوت المتحشرج الذى ينساب من فم رجل عجوز ذى سن واحدة

- إن لى ابنا ولا أريد أن يحفر ابنى الأرض ويزرع مثلى المجارى ويدك الاسفلت ويحمل القطران وأن تذهب سبعون سنة من العذاب والشقاء بلا كفارة إن الحياة لا طعم لها بلا أمل أريد أن أعلم أن مأسى هيأت الأرض لحياة أصلح وأن عرقى لم يذهب عبثا أريد أن يكون ابنى متعلما يقرأ أو يكتب ولا يجلس مثلى على الأرض أريد أن أعيش عشر سنوات أخرى . عشر سنوات أربى فيها أولادى ..

أريد أن أعيش لقد كان الرجل يطلب الحياه كان يطلب عشر سنوات من الفقر والجوع والتعاسة والحرق القديمه لأن الحياه ليست هى الحرير والخمر والنساء وإنما سر الحياة هو أن تعدل فى سبيل غاية

وهذا هو الشيء المجهول الذى ينقص حياته

أنشـودة الــدم

الجندى الإنجليـزى الذى يقف حـارسـاً على مـقـابر العلمين شخصية عربية

والذين يمرون بـعرباتهم على مقـابر العلمين فى طـريقهم إلى مرسى مطروح يعـرفون ذلك الوجـه الشـحب الذى يطل عليـهم ويتفحصهم واحداً واحداً بابتسامته البلهاء الغريبة

وفى العادة يتـقدم الحارس المصرى لينقذهم من تلك النظرات الفضولية متعثراً بإشارة معناهـا .. هذا رجل مسكين فى عقله اعذروه ..

كنت أفكر فى الرجل حـيـنمـا قـررت المبيت فـى إحدى الغرف الأربع الموجودة بـالاستراحـة فى تلك الليلة البعـيدة من أكـتوبر وكـان همى الأول أن أقضى المسـاء مع ذلك الإنجليـزى ليفتتنى

جون لينل كما يسمى نفسه

وفي الكشك الصغير من الخشب المطل على البحر، وعلى دكة المغطاة بطانية من الصوف، جلسنا نتحدث وأخرج جون زجاجة السكوتش التي لا تفارق جيبه، وصب لي كأساً وقال وهو يتطلع إلى الأمواج العالية

أنت لا شك تتعجب لأني اخترت الإقامة في هذا المكان الموحش في الوقت الذي كان باستطاعتي فيه أن ألحق بزملائي في إنجلترا

هذا فعلاً اختيار غريب

أما بالنسبة لي فإنه ليس غريباً على الإطلاق، فليس لي زملاء هناك في إنجلترا وإنما كل زملائي وأحبائي هنا في هذه المقابر هنا حياتي.

وأشار إلى آلاف الصلبان الخشبية التي تغطي الرمال كنباتات قصيرة جرداء ..

وعاد يشير بأصبع مرتجفة .

- وهنا يرقد شارل ..

وصمت لحظة ثم أردف ..

أنت لا تعرف شارل ولو أنك عرفته كما عرفته أنا لما استطعت أن تفارقه حياً ولا ميتاً ..

إن الحرب شيء فظيع

إنك لا تستطيع أن تتصور كيف مرت تلك الليلة ليلة فورما الهجوم الكبير في العلمين ..

إن قصف المدافع ونيران القنابل الحارقة وأزيز الطائرات ودمدمة الرشاشات وهزيم الدبابات ما زالت تصك أذني كأنها تحدث حولي اللحظة ولم تمر عليها في كل تلك السنين

ليلتها كان كل هؤلاء (وأشار إلى ساكني المقابر) يملأون تلك الساحة الخلاء بالحركة والحياة وكانت هذه السماء مضيئة بآلاف القناديل ولولا صرخات الموت هنا وهناك لخيل للواقف هنا أنه في محفل سماوي رائع ، إن منظر الدم يسكر أقول منظر الدم يسكر ولا يعرف هذه الحقيقة إلا منْ جربها

إنك تخاف من الحرب وترتجف من أهوالها طالما كنت بعيداً عنها تسمع أخبارها على ألسنة الرواة وترى صورها في الصحف، أما إذا عشت في معمعانها ورأيت الدم يتفجر من حولك فإن رأسك تدور وحلقك يجف وتتحول إلى حيوان مفترس لا يعرف حيوان عطشان للدم

إن أسنانك تصطك الآن مجرد تصور السونكى فى يدك وأنت تدفعه فى قلب رجل حى فتستل منه الحياة ، أنت تقشعر وأنت تسمع هذا الكلام الآن ، ولكن ساعتها سوف تجد نفسك تطعن فى ضراوة ذئب ، وكأنك أصبحت شخصاً آخر بل صنفاً آخر من الكائنات لا تمت للبشرية بسبب .

إن مهنة القتل تنبت مخالب فى تلك الأيدى الناعمة

وفى أتون القتال لا تعود هناك نجاة من الموت إلا بالموت

اقتل اقتل اقتل فى حماس وهمة إذ أردت أن تنتهى من كل شيء . يالها من نشوة بشعة .

كنا ساعتها نحارب أنا وشارل فى مركز أمامى فى الجبهة

وكان علينا أن نتقدم ببطء تحت ستار من قنابل المدفعية

وكنا نزحف على بطوننا كزوج من الأفاعى وبين لحظة وأخرى نرفع رءوسنا لنلقى بقنبلة يدوية ثم نعود ندفن رءوسنا فى الرمل ونزحف من جديد والأرض من تحتنا تهتز كأنها حبلى بآلاف الزلازل .

وفجأة ظهرت أمامنا دبابة معادية شقت الضباب وسحب الدخان ، وأطلقت برأسها كخرتيت قبيح وأخذت تتقدم نحونا بخطى بطيئة رهيبة ، ضاربة حولها سياجاً كاسحاً من النيران

وكل لحظة تمضي كنت تقربنا من موت أكيد

موت أكيد يمد نحونا ،درعاً أخطبوطيه من اللهيب والرصاص نحصد في طريقها كل شيء والأمل واحد في المليون

معجزة ..

أن نلقي بقنبله يدوية متسقط في تلك الفجوة الصغيرة في برج الدبابة وتنفجر في سائقها ..

فجوة من عدة سنتيمترات يحس فيها الموت ونحن نلعب معه لعبة كرة السلة ..

مَنْ يضع الكرة في السلة !

والموت يقترب

وأسمع وقع خطاه الحديدية وكأنه يمشي على أصلاعي وأرتجف وأشعر أني مشلول تماماً وأضحك من اليأس والجنون وألتفت باحثاً عن نجدة فأرى ذراع صديقي شارل ترتفع بقنبلة يدوية تلقي بها في الهواء ثم لحظة صمت وصرير الدبابة يقترب ويقترب ثم انفجار مروع وتتوقف الدبابة .

لقد حدثت المعجزة ودخلت القنبلة في برج الدبابة

ويقفز شارل لبحتضني وهو يصيح هورا هورا لقد

انتصرنا .. ثم أشعر بريح ساخنة تلفح خدي وأزيز شيء يمرق كالبرق إلى جوار أذني .. ويسكت شارل وألتفت إليه فأجده مازال يحتضني بذراعه .. ولكن بلا رأس .. فقد أطاحت شظية برأسه من بين كتفيه .

ومكان الرأس فجوة رهيبة ينفجر منها الدم كالنافورة

ولكن ذراعه ما زالت تحتضنني في نشوة خرساء

يا لها من لحظة فظيعة ..

كان يمسك بي بكلتا يديه .. جثة بلا رأس .. لا يريد أن يفارقني حياً ولا ميتاً .. وكدت ما زلت أسمع صيحته .. لقد انتصرنا ..

وصمت جون قليلاً وراح يلتقط أنفاسه ثم عاد يغمغم

كانت ليلة رهيبة ..

أحياناً يخيل إلى أنها كانت كابوساً ..

وأحياناً أتذكرها فلا أصدق أنها حدثت هكذا كما رأيتها في لو قمع وأنا عشتها نحو سنا ورأيتها رأي العين

نعم .. لقد انتصرنا ..

وعاد منا إلى الوطن مَنْ عاد ..

ورقد تحت التراب مَنْ رقد .

ولكني لم أستطيع العودة مع العائدين

كنت أشعر دائماً بذراعي شارل الحنونتين تضماني ..

وكنت أشعر أني أحيا مع الأحياء لأنه أراد لي أن أحيا وافتداني بدمه ..

ولم أستطع أن أفارقه ..

وطلبت من القيادة أن أبقى حارساً على مقبرته في هذا المكان الموحش فهنا كانت حياتي وهنا كان مولدي الثاني وسيكون مرقدي الأخير .

وسكت جون ورأيت عينيه تدمعان ..

ومرة أخرى أخرج الزجاجة من جيبه وسكب كأساً جرعها دمعة واحدة كأنما يريد أن يطفيء ناراً بدأت تشتعل في داخله

وطال سكوته .

وطال تفكيري

وارتفعت وشوشة الموج ..

ثم سمعته يقول وهو ينظر ساهماً إلى البحر

إني أنتظره كل ليلة في هذا الكشك ..

- تنتظر مَنْ ؟

- لا .. ليس شيئاً .. إني أنتظر الرجل الأحمر ذي القيثارة .

ولمعت عيناه وخيل إلي أنه يهذي .. ورأيته يحملق في وجهي قائلاً :

لماذا تنظر إلي كما لو كنت مجنونا .. إني لست مجنونا .. لقد رأيته كما أراك الآن .. الرجل ذو القيثارة ..

- مَنْ هو الرجل ذو القيثارة ؟

وألقى برأسه إلى الوراء وملأ كأساً أخرى وشرد قليلا ثم بدأ يحكي :

- بعد أن انتهت الحرب بسنوات ، وبعد أن بنينا ذلك السور العالي حول المقابر .. ذات ليلة في شتاء ١٩٦٠ وفي جو عاصف شديد البرودة ، توقفت عربة فورد قديمة على هذا الباب ونزل منها رجل مهيب خيل إلي حينما طالعت وجهه أني أعرفه .. وأني رأيت صورته من قبل .. ولكن مَنْ هو .. رحت أعتصر ذهني بلا جدوى .. مَنْ هو .. كان يذكرني بهتلر ولكنه ليس هتلر .. فرانكو .. موسوليني .. لا ليس موسوليني ، مَنْ يكون ذلك الرجل المهيب الذي تبدو عليه ملامح القائد ؟!

وحيَّاني في أدب واقتضاب ، وقدم إلي نفسه قائلا إنه شاعر وأنه يكتب منذ سنوات ملحمة شعرية عن الحرب ..

شاعر .. يالها من ليلة رائعة سوف أمضيها مع الفن

وشعرت بسعادة لا حد لها ..

وكدت أحتضنه من الفرحة ..

وسارعت إلى حقيبته أحملها عنه..

ولكن .. لا .. إنها لم تكن حقيبة ككل الحقائب ، وإنما كانت أشبه بصندوق قيثارة .

وسألت في دهشة :

- هل يعزف سيدى القيثارة ؟

القيثارة ؟ .. آه .. نعم .. إنها هواية قديمة ، لم أستطع أن أتخلص منها .

يالها من ليلة ..

سوف أستمتع بالشعر .. والموسيقى .. والرفقة الممتعة

سعادة لا يجود بمثلها الزمان كل مائة عام في مثل هذا المكان الموحش .

وأخذته إلى أجمل غرفة في الاستراحة ، الغرفة التى تطل على البحر والمقابر ومتاهات الرمال الساحرة

وأحضرت أحلى ما عندي من خمور فاخرة معتقة وطعام شهي وجلسنا نتسامر ونشرب وأخذ يلقي على مسمعي روائع من شعره الأخاذ في نبرات تخطف القلب

هل سكرنا تلك الليلة

هل فقدنا الوعي ..

لا ، لقد كنت في تمام وعيي حينما أشرت بيدي إلى صندوق القيثارة إلى جواره ، فأجاب في ابتسامة

هل تريد أن تسمع عزفي على القيثارة ؟

وأومأت بإماءة رجاء ..

ولمعت عيناه ببريق غريب

ورأيته يميل على الصندوق ويفتحه ويخرج منه يا إلهي لم تكن هناك قيثارة وإنما كان هناك مدفع رشاش

ونظرت إليه في دهشة وعدت أنظر إلى الآلة القبيحة الدميمة بين يديه .

كانت عيناه يتطاير منهما الشرار .

ورأيته ينهض على قدميه حاملا مدفعه الرشاش في وضع

استعداد ، وتراجعت إلى الوراء في ذعر وقلت بصوت مرتعش

- أنت لا شك تمزح يا صديقي

فقال بصوت معدني بارد لا أثر للإحساس فيه

- لا أنا لا أمزح إنها صنعتي الحقيقية إني قاتل صناعتي القتل ، أما الشعر فهواية أمارسها في أوقات الفراغ

- ولكن

وقد حان وقت العمل وعلينا الآن أن نقتل ، كفى ما قضيناه من وقت طوال هذه الليلة المتراخية في الكسل

- ولكن يا سيدي .

- أريد أن أقتل .. أريد أن اقتل قلت لك ..

وجحظت عيناه وأشرع مدفعه الرشاش وامتدت يده لتضغط على الزناد . وافترت شفتاه عن أسنان تلحية قاسية ، وظهرت على وجهه تلك السحنة التي أعرفها جيداً والتي كانت تبدو على وجوهنا حينما كنا نقتل .

ومرت بجسدي قشعريرة باردة وقلت متوسلا

ولكن يا سيدي ماذا تريد أن تقتل هنا . إن كل مَنْ تراهم حولك هم قتلى بالفعل ، أكثر من ثمانين ألف قتيل تحت هذا

التراب .

إدن لا مـفر من إحـيـئهم مر جـديد لافـتلهم ثانيه ، وكـدت أصحك وقد أيقنت أني أمـام مجنون ملتاث العقل ، حـيـنما قال في هدوء

– هذه سنة الحياة .

ومَنْ الذي وضـع هذه السنة يا سيدي ؟

– القادة المصلحون من أمثالي ..

– وهل القادة والمصـحون صناعتهم القتل ؟

نعم أيهـا الاحمق لا بد أن يكونـوا قتلة ليطفـوا الأرض من الحثالة القديمة ويعدونها لعرسهم الجديد

– إنها لقصة بشعة ..

بل هي أعنية رائعـة ، قصيدة ، معزوفة موسيقيـة بديعة ، انظر ..

وبدأ يضـغط على الزنـاد ويطلق الرصـاص في الهـواء وأنا أقفز من الرعب ، وهو يضحك ويختال راقصاً بمدفعه وكأنه عاشق يحاصر معشوقته ويرقص بها ، ويغمغم في نشوة

إنك لن تصبح قائدا إلا إذا استطعت أن تقتل وأنت تغني ، لن

تستطيع أن تصنع الحيـاة إلا إذا صنعت لآخرين الموت ، هذه سنة الوجود

- ولكن هذا شيء فظيع .

أنت تقول هذا لأنك رجل تافه ، أنت واحد من ألوف التافهين بلا إرادة ممن لا عمل لهم سوى أن تصدر إليهم الأوامر ، أوامرت لن تكون شيئـا في يوم من الأيام أنت وغيرك مسامير صغيرة في العربة التي تقودنا .

هذا أفضل من أن أقود عربة هي في الواقع عربة الموت

أنت مسمار في هذه العربة على أي حال . أردت أم لم ترد

وراح يطلق الرصاصات وهو يصحك ، وأنا أقـفز فزعا ثم نصر إلى في إشفاق قائلا

لا أمل في شفائك من التفاهة .. لا أمل .

واحتـضن مدفعـه الرشاش في حنان وأودعـه صندوقه برفق وعناية ، ونظر إلى يأساً .

لا أمل في شفائك ، أنت لا شيء ، وستظل لا شيء

وحمل صندوقه ومد يده مودعاً وهو يقول

وداعاً يا صديقي ، لن أغيب طويلا ، سوف أعود إليك في القريب ، وحينئذ سوف نكون كل هؤلاء (وأشار إلى ساكني القبور) قد ولدوا من جديد ، وتكون هناك فرصة رائعة مذبحة جديدة . لا تخف (وربت على كتفي) لن أقتلك ، إن قتل فرد واحد ليس من أخلاقنا . إنها عادة المجرمين . أما القادة والمصلحون أمثالنا فإنهم لا يقتلون فرداً وإنما يقتلون بالألوف .. وبالشعوب جملة . وهذا ما يقتضيه كنس الأرض بين وقت وآخر لبذر المحاصيل الجديدة .

إن عملية الإصلاح عملية شاقة صدقني ..

ليلة سعيدة ، وتمنيات طيبة لأمواتك ولقاء قريب

واستدار ليخرج . ولكنه لم يخرج من الباب وإنما خرج من الحائط ..

وانتهى جون من قصته وغرق في الصمت ، ولم يعلق بشيء ، وغرقت أنا في السكون .

ومن لحظة لأخرى كنت أختلس النظر إلى عينيه

كانتا عينين خضراوين وديعتين هادئتين لا يبدو عليهما أثر الجنون ، وكنت أشعر بالحيرة في أمره وأمر قصته .

ويبدو أني أغرقت طويلا في تفكيري ، لأني رأيته يقوم

ويختفي في الكشك ثم يعود ليسلمني مفتاح غرفتي ، ويسألني إذ كنت في حاجة لشيء ، وفي الطريق إلى غرفتي ، كان مازال يغمغم وهو يمشي إلى جواري

- إنه سوف يعود ، أنا أقول لك إنه سوف يعود ...

أنت تحلم ياصديقي ... مَنْ هو الذي سوف يعود ؟

الرجل الذي سوف يقتل الألوف وهو يغني ... الرجل ذو القيثارة ... لقد رأيته يغني كما أراك الآن

رعشـــة

كانت القاهرة تحترق .. وكل واحد يهرول في طريقه في خوف، وعربات الشرطة تخرج من الظلام تلمع فيها عشرات البنادق وأنا أسير في طريقي أرتجف، ويخيل لي في كل لحظة أن يداً غليظة سوف تستقر على كتفي وصوت خشن يقول لي: أنت مقبوض عليك .. فكل واحد كان يقبض عليه في ذلك اليوم بسبب وبدون سبب .. لأنه شيوعي أو إخواني، أو أمريكاني، أو انجليزي أو مصري أو متشرد .. أو صعلوك، أو مشبوه .. أو مراقب، أو سيئ الحظ لقته الصدفة بقرب واحدة من العمارات الكثيرة التي تحترق

وكان طريقي إلى منزلي يستلزم مني اختراق عدة شوارع كبيرة. فرسمت في ذهني خطة أتجنب فيها تلك الشوارع وأن

احتاج الأمر إلى مسيرة ساعات ، وهكذا وجدت نفسي أسير في المقابر

وكان الخوف ما يزال يلازمني ، وكل عضلة في بدني تتوتر لأقل صوت ، والواقع أنه لم يكن هناك صوت سوى صوت تنفسي وصوت وقع أقدامي على الأرض المتربة وصفير الرياح في أذني ولكن الحريق كان طوال الوقت أمامي ، والعمارات المشتعلة كالشموع وعربات المطافيء وعربات البوليس ، والكلبشات ، وحكم المؤبد والمستشار ستة كما يحدث دائماً في أمثال هذه المناسبات حينما يأخذ القانون راحته وتتحول كل المحاكم إلى محاكم عسكرية ، وتصدر الأحكام في لحظات ، ويصبح أي ظلم عدلا لا غبار عليه في سبيل صيانة الأمن

كنت أرتجف ، وأحس أن واحداً لا بد قد رآني وأنا أسير إلى جانب فندق شبرد ، والواقع أني لم أفعل شيئاً ، ولم أرتكب أي مخالفة يؤاخذني عليها قانون أو ضمير ، كنت أسير . وهذا كل ما في الأمر . أسير أمام شبرد ، مع عشرات من السائرين حينما رأيت النيران تخرج من النوافذ ، والنزلاء يلقون بأنفسهم في الطريق ، وخدم الفندق يلقون السجاجيد في الشارع ، وعشرات الأيدي تتلقف تحفاً وأشياء ثمينة وأشياء أخرى ملفوفة في ورق، وتماثيل .

وقع عند قدمي تمثال وكان يبدو أنه تمثال فضي

توقفت في ذهول ، تلفت حولي ، كان كل واحد يحاول أن يلطش ما تصل إليه يده ، لم أفكر أن أمد يدي إلى شيء ليس لأني رجل فاضل ، وإنما لأن الرعب كان يشل كل حركاته ويجمد أفكاري، سرت في طريقي مسرعاً وأنا أرتجف

كنت أتذكر تلك اللحظات الرهيبة وأطمئن نفسي بأنني لم أفعل شيئاً .. لم أمد يدي إلى شيء ..

ولكن مَنْ يدري أن أحداً لن يحتلق على الأقاويل ويطلع على الصباح لأجد نفسي في الحديد ، والمحقق يقول لي أثبت أنك كنت في مكان آخر ساعة الحريق وكيف أثبت أنني في مكان آخر وقد كنت في ذات المكان وذات الساعة .

كانت آلاف الهواجس تروح وتجيء في ذهني ، وكنت أرتجف طول الوقت حينما خيل إلى أن هناك وقع أقدام خشنة تسترق الخطى خلفي .

وتوقفت في ذهول الرعب لأتأكد أن ما سمعته لم يكن واقع أقدامي أنا ..

كان السكون فظيعاً ، والريح تصفر

وجاءني وقع الخطى يطرق الأرض المتربة ثقيلاً مبهماً

وتجمدت في مكاني وتثلجت أطرافي وسرت فيها قشعريرة باردة. وادرت عيني ببطء لألمح خلفي ظل مارد أسود لرجل ضخم الجثة يتقدم في اتجاهي، وسقط شعاع المصباح الوحيد على كتفه ولمعت نمرة نحاسية وبندقية مشرعة

كان شرطياً.

إن ما حسبت حسابه قد حدث، وأطلقت ساقي للريح

ومن خلفي انطلقت الخطوات الثقيلة تدق الأرض تباعاً في مطاردة حادة وكنت أسمعها تقترب وتقترب، وكأنها تدق على باب أذني

وكنت أسمع لهاث الشرطي وهو يناديني، وأنا أهرول في جنون في كل طريق ينفتح أمامي، وقد أفقدني الرعب صوابي

بعد دقائق يلتف الحديد حول يدي، وبعد دقائق أخرى يواجهني المحقق بالسؤال التقليدي أين كنت ساعة الحريق، ثم يلقي بي في السجن مع المئات وأقضي الليل على رطوبة الأسفلت.

كانت المخاوف تسري كالكهرباء في ساقي فتطلقها كالريح ولكن الأقدام التي تدق الأرض من خلفي كانت أسرع مني، وما لبثت أن شعرت بذراع ثقيلة على كتفي، وتكومت إلى جوار

حائط كفار مـذعور وأنا أنتفض ، ونظرت إلى الشرطى الذى لحق بى ولدهشتى رأيته هو الآخر ينتفض

كان وجهـه ممتقعاً وعـيناه جاحظتين وكان يشـير بذراعه إلى ناحية المقابر ، ويتهته بصوت مرتجف

- هل رأيته ؟

- رأيت ماذا ؟

- الـ .. م.. م . ميت الذى خرج م .. من تربته .

- أى ميت .

- فى التربة الـتى أمامهـا صبار تان ، لقـد رأيته يخـرج وعليه كفنه ، رأيته يخرج ذراعيه وساقيه .

وكان الرعب قد بدا يزايلنى وبدأت ابتسامة شاحبة ترحف على شـفتى ، كـان الرجـل يتكلم والبندقـيـة فـى يده ، ويده ترتعد والبندقية ترتعد .

ورأيت نفسى أربت على كتفه وكان ما يزال يتكلم

رأيته واقفـاً وعليه الكفن صدقنى لقد رأيتـه بعينى هاتين ، فأنا أعرفه وأعرف حكايته ، فقد مات قتيلا

وهل كل منْ يموت قتيلا يقوم من تربته بعد الموت ؟

نعم إن روح القتيل لا تعرف راحة ولا استقرار إلا إذا انتقمت من قاتلها

- وهل في إمكان الأرواح أن تنتقم ، هل لها سلطة ؟

لا حول ولا قوة إلا بالله . وهل هناك سلطة في الأرض تعلو على سلطة الأرواح .

وطيبت خاطره وطمأنته بأن ما رآه كان وهماً ، وأنه لا أرواح هناك ولا أحد في هذه القرافة صاحب سلطة سواه هو وسوى بندقيته المليئة بالطلقات .

ولكنه ظل يؤكد لي وهو يتلفت أن الأرواح موجودة ، وأن روح هذا القتيل هي التي تحكم هذا المكان ، وهي صاحبة السلطة المطلقة فيه ، وأن البندقية لا حول لها ولا طول أمام قوة الروح اللانهائية، وظل يستعيذ بالله من الشيطان ومن الكفر والكافرين

وكان ما يزال يرتجف ويتلفت حوله في رعب ويلوذ بي وتذكرت خوفي منه ..

وضحكت ..

وكان ما يزال يتحدث عن الأرواح ويناقشني في يقين لا يهتز قائلا إن الأرواح يمكن أن تلبس الناس ويمكن أن تسخطهم ، ويمكن أن تصيبهم بالموت ، وإن أكثر الناس في هذه الدنيا

ملبوسون ، وإن فوق كل حكم في هذه الدنيا حكماً علوياً تصدره محكمة الأرواح السماوية ، وأنه فى هذه الساعة من كل مساء تعقد هذه المحكمة .

- أى محكمة ..

وكان عقلى قد سرح فى المحكمة الأخرى وفى الحديد وفى رطوبة الأسفلت ، وسرت فى بدنى رعدة .

وكان هو يرتعد هو الآخر ويتكلم عن المحكمة التى فى السماء

وكنا كلانا نتحدث فى وقت واحد ، كل واحد يتحدث بلغة خاصة لا يفهمها الآخر .

حيـــاة الأعـــزب

الجمعـة :

أنا حاكم لا شريك له على بيت أنيق .

ليس لي ثن في دولتي الصغيرة الجميلة ، أستطيع أن أصحو متى شئت ، وأنام متى شئت ، وأخلع ثيابي وأغني وأطرقع معاصـــي وأشرب الماء أو العرقسوس أو الويسكي كما يحلو لي .

ليس على أكتافي شيء سوى رأسي ، لا مسئوليات ، لا هموم، لا مطالب ، لا واجبات ، فأنا أعزب ، كلمة حميلة حلوة ، هذه الكلمة أعرب ..

لقد تذكرتها وأنا أحلق ذقني ، وأنظر إلى وجهي في المرآة ، فصفرت نغمي نشيد المارسليز احتفالا بالحرية المطلقة التي أعيش

فيه ، والإمبراطورية الواسعة لتى أحكمها والتي تتألف من ثلاث غرف وصالة وحمام أنيق بالقيشاني

سوف أنام الليلة ملء أجفاني ، تحلم بي كل عانس ، ويحسدني كل زوج وتجعل مني بنت السادسة عشرة محوراً لمغامراتهن وتحمل همي الخادم والبواب والجيران ولا أحمل أنا سوى ابتسامة واسعة ساخرة معها أحر نكتة من نكت الموسم

يقولون إن حياة الأعزاب تعسة ، ووحدة وفراغ وفشل وهذه خرافة خلقها الأزواج لأنهم فشلوا في أن يكونوا عزابا ناجحين

ومثلها حكاية البيت الدافىء والأولاد الذين يمدون بقاء الزواج على الأرض والزوجة التي تضيء ظلام الوحدة مثل القنديل ، وحديث آخر الليل الذي يتقاسم فيه الزوجان المسرات والهموم

كل هذه علامات مثل الإعلانات التي تروج لبيع الصابون وملح كروشن والأسبرو أما الواقع فهو شيء آخر غير هذه الإعلانات فالبيت قد لا يدخله الدفء بالمرة والابن قد لا يمد أجل أبيه وربما أخذ أجله والزوجة قد تكون نكدا وحديث آخر الليل غالبا ما يتحول إلى مراجعة للحسابات تنتهي بخناقة وبأن يعطي كل واحد ظهره لصاحبه ووجهه للحائط

خذوا الحكمة من أفواه المتزوجين .

إن من عادتي أن أنزل ملعب الزوجية يبرز فيه أصدقائي ، وأكتفي بالتهليل على كل هدف يصيبه أي واحد من الاثنين

وما زلت أشكر الله على هذه النصاحة ، وأشعر بالتلذذ وأنا أتأمل وجهي في المرآة ، وجر عليه الموسى وأحلقه بعناية قطعة قطعة ، وأبحث عن ينابيع النصاحة في عيني ، وأصفر بصوت مرح يخرج من نافوخي ، وأقول أنا حر أنا أعزب

السبت:

دفتر يومياتي يقول إنني محجوز على الغذاء والعشاء لمدة أسبوع مقدماً .

إني على حق في إلغاء المطبخ من شقتي ، فما الداعي للمطبخ ما دمت أتغدى في أقرب مطعم وأتعشى عند أقرب صديق وأغسل ثيابي عند أقرب مكوجي وأعود بلبست لأنام

لقد قالت لي صديقتي اليوم :

- أنت رجل مضيع ، أنت موزع على طول الشارع الذي تسكن فيه بين البقالين والحلاقين والمكوجية والمطاعم والمخابز

إن بيتك ليس بيتاً ، إنه مجرد سرير سفرى حراج حسمة كشافة .. تتزود بالتموين من كل رصيف ..

انت متشرد ..

وفهمت من كلامها أنها تلمح لى بالزواج بأسلوب ماكر مهذب فقلت لها بهدوء :

– أنا رجل عصرى لا أضيع ثروتى فى البيت تحت البلاطة ، وإنما أساهم بها فى كل البنوك أيكون هذا تضييعاً لى

فقالت فى غيظ

وتساهم بحب فى كل القلوب ، أليس كذلك ؟ إنك تحاول أن تضمن الواحدة بعقد علاقة مع أخرى ، ولكنك تخسر الاثنين لانك تخسر الثقة من كل شىء فى حياتك لا يبعث على الثقة ، وأنت نفسك لا تثق بنفسك

ودمعت عيناها وأردفت فى يأس

إنت تجعل الإخلاص مستحيلا ، ثم تبكى لأنك لا تجد الإخلاص ألست رجلا مغفلا .

فقلت فى ضيق .

إن الإخلاص يولد من نفسه ولا يولد بالحق والمواثيق ، أن

رجل واقعي لا أطلب من الطبيعة البشرية أكثر مما تستطيع أن تعطيه .

- إن القلب عندك طبيعة ، أنت غلبان

وشعرت بالغيظ ربما لأنى غلبان فعلا ، ولكنى لم أحب بكلمة وقالت هى بعد فترة

أريد أن أعرف .. ماذا تريد من وراء هذا كله ، فى مقابل أى شىء نعيش هذه الحياة ؟

وأجبت فى يقين :

- أريد أن أحتفظ بحريتى ..

بالضبط تريد أن تحتفظ بحريتك مجرد احتفاظ ، لأنك لا تفعل بها شيئا .

ورفعت صوت الراديو ليغطى على صوتها ، وفاض بى الضيق.

إن المرأة تفقد نصف جمالها حين تلمح بالزواج ، وتفقد النصف الآخر حينما تتحدث عن الفلسفة والمنطق .. وخصوصا إذا كان كلامها فى محله .

الأحـــــد :

تيقظت متـأخراً هذا الصباح ، وفتحت نصف عـين على شعاع الشمس الذي يداعب وسـادتي .. ثم عدت فأغلقتـها .. وبدأت أفكر من حيث انتهينا في الليلة الماضية .

ماذا أريد من هذا كله

حريتي ..

وماذا أفعل بحريتي ..

إنى أرفض اختيـار طريق لأنه يقيـدني ، وأفضـل البقـاء في مفترق الطرق ، أعاني الحرية .. ولا أمارسـها

أهو إحـساس بالمسـئوليـة .. أم جبن .. أم تغـفيل ، إني دائمـا أكتشف أني مثالي من حيث أظن أني واقعي

إن الواقعية لا تقف في مفترق الطرق أبداً

الواقعية لا تعلق إمكنياتها .. وإنما تثب وتعمل

وأنا أعلق كل شيء على مشجب

ورفعت السمـاعة لأطلب صديقتي .. فقـالت لي إنها خطبت إلى ابن عمها .. وتمنت لي أياماً طيبة .

ووضعت السماعة فى سكون وتفت حولى ، ولأول مرة أكتشفت أن فى شقتى صراصير ، وأن العنكبوت يتدلى من جدرانها .

وتذكرت أن المكوجى قد أخذ كل القمصان للغسيل ولم يحضرها وأن كل الصحون قذرة ، وأحسست أنى أكسل من أن أنظف صحناً ، فأرسلت البواب ليشترى لى صحناً جديداً ، ثم زعقت عليه بعد أن قفز بضع درجات على السلم

استنى عندك .. خذ اشترى لى قميص كمان علشان ماعنديش قمصان ..

وأغلقت الباب ، وعدت أتمشى فى الصالة ثم بدأت أدير البيك آب ، ووضعت أسطواناتى المحببة .

ووقفت فى النافذة ولكن الشباك ظل يخشخش ، واكتشفت بعد مدة أن طبقات من التراب واقعة فى حلقه

ولا أدرى لماذا تذكرت حكاية الإمبراطورية الواسعة التى أحكمها فى تلك اللحظة ، وأحسست أنى إمبراطور فعلاً ولكن إمبراطور على خرابة .

الاثنين :

ذهبت فى زيارة فرح ، وهو صديق قديم أعرفه من عشرين

عاماً ، ووجدنه يدحن الجوزه وسط أولاده الخمسة ، وكان أكبر أولاده يمصر عوداً من القصب ويصنع المصاصة فى طربوشه ، وأصغرهم يقف وسط الغرفة بالفانلة واللباس ، يلوح بذراعيه الرفيعيين

وكانت نوبا الصغيرة تحرج لسانها ، ثم تقفز على الكرسى وتؤذن

وكان فرج وسط هذه الهوسه يضحك ويكركر بقلب طليق ، وبين حين وآخر يفرغ الطربوش من مصاصة القصب فى صينية على الأرض قائلا فى حنان .

بقه كده يا ولد ياتنتون ، تحط الزبالة فى طربوش أبوك ثم يضحك

– عفاريت الولاد دول .. عفاريت ..

وطول الزيارة كنت أفكر في سؤال واحد

كيف أضيق بهذا الصرح ولا أكاد أحتمله دقيقة واحدة ، وكيف احتمله فرج عشر سنوات .. وهو يضحك .

أهناك سر بين الأب وأولاده يجعل كل شيء محتملا سر لا يفهمه الأعرب ..

ربما . أنا لم أجرب على كل حال ،

الخميس .

بعد ليلة حمراء

راس ثقيلة حسمي مثل مدينة اكتسحها زلزال ، أعضائي تهدمت ، عظامي مثل أعمدة معبد نهرت وانهار فوقها السقف .

إني أسأل نفسي ، أهذه هي اللذة ، أهذه هي السعادة التي يتزوج من أجلها الناس ؟

مجانين ..

إني لا أجد فيها سبباً اتزوج من أجله

إنها مجرد رغبة حمقاء لا شأن لي بها ، الطبيعة تدفعني إليه وتشوقني وترغمني فأسعى إليها كما يسعى النمل وأمارسها في غباء ثم أفيق على لا شيء ، ولا تبقى من النار الموقدة إلا مجاملات فاترة .

خمس دقائق فقط .

كيف أتزوج من أجل خمس دقائق ؟!

السـبت :

سألت نفسي ، ما هو الحب ، وبعد تفكير طويل اكتشفت أن الحب هو أن يبقى شيء بعد الخمس دقائق ، هو أن تبقى في النفس حاجات تدفع الاثنين على البقاء معاً

الحب هو رغبة بين اثنين لا تستنفذها الطبيعة رغبة شخصية لكل منهما في الآخر ، ليس لكونه ذكراً ولا لكونها أنثى ، ولكن لكونه فلاناً ولكونها فلانة ، ولكونهما مشدودان بخيط من الفضول والدهشة والإعجاب ، كل منهما يحب أن يصغى إلى صوت الآخر حتى ولو لم يكن يتكلم ، يصغى إلى صوت وجوده

فكرت في هذه العبارة ثم ضحكت ، يالى من شاعر وتذكرت أخي وهو يقول لي كل يوم :

إلى متى تظل أعزب ؟ متى تفكر في الزواج ؟

وهو لا يدرى أني أعزب لأني أفكر في الزواج ، أقتله تفكيرا كل يوم وأفكر في الحب وأقتله تفكيرا . ثم أقتل نفسي من كثرة التفكير في نفسي ، ثم لا يبقى بعد هذا إلا أشباح رغبات ، وشبح آخر أحمق ثرثار هو أنا لا يفتأ يسأل ويسأل يسأل لماذا وكيف .. ومتى .. وأين .. وإلى أين ..

الراهبة والميكرسكوب

فى ذلك المبنى العتيق الجليل ذى البشرة الكاحلة ، كان كل شىء يجرى فى همس ، فنحن فى الكوليج دى فرانس ، مدرسة الراهبات ، ذات التاريخ المهيب .

وعلى طول الممر المبلط المحاط بالأشجار لم تكن ترى أو تسمع غير تلك الأشباح الرقيقة المقنعة بالبيض وهى تخطو فى سرعة هنا وهناك إلى الفصول

وعلى السلم الحجرى الأحمر كانت الراهبة تيريزا تصعد فى نشاط حاملة صفاً من الكراريس ، والتلميذات الواقفات حول حوض زهر البنسية يحيونها بابتسامة مضيئة ويجرون خلفها

إنهن سوف يستمعن اليوم إلى الأخت تيريزا تشرح لهن بأسلوبها الممتع فصلاً جديداً من كتب علم الأحياء

وتيريزا بعينيها الشرسين الجميلتين تبدأ درسها في صوت خافت تائه

وكل من ينظر إلى عيني تيريز الواسعتين كبحيرتين كان يرى دائما ذلك التيه والشرود وكأنما في أعماق البحيرتين ملاح تائه لم يجد بعد طريقه إلى شاطيء .

وكانت تيريز تتحدث عن (مندل) الذي اكتشف قوانين الوراثة

إنه الراهب جريجور مندل

الأب المستنير الذي رأى في الرهبانية عملاً واجتهادا ومساهمة إيجابية لخير الناس ، ولم ير فيها انقطاعاً فارغا للصلاة في صومعة بالصحراء .

كان مندل يقضي الساعات كل يوم يتأمل أزهار حديقته ويجري التجارب على نباتات البسلة ، فيلاقح بين النباتات ذات الزهر الأحمر والنباتات ذات الزهر الأبيض ، ويتابع صفات النسل الناتج ويدون ملاحظاته بدقة في نوتة

ومن هذه الملاحظات استخرج قوانينه الشهيرة في الوراثة

كان الأب المستنير يرى في حديقة الله كتاباً مقدساً فصيح العبارة

بليغ الكلمات . وكان يرى أن الأصفياء الأنقياء يستطيعون أن يقرءوا إرادة الله بالنظر في حديقته وتأمل صنعته .

وكانت التلميذات الصغيرات يستمعن مأخوذات إلى حديث تيريزا الساحر ، وقد جذبت أفئدتهن سريرتها الرقيقة الحافلة المشحونة بالعاطفة التي تروي بها دقائق العلوم وكأنها تروي قصة حب مثيرة .

والواقع أن تيريزا كانت في حياتها الخاصة أشبه بمتبتل .

كانت تسبح بعينيها الحالمتين دائما وراء السحاب بحثا عن حقيقة . وقد وهبت نفسها كلها روحاً وجسداً وعقلا للتفكير في الملكوت وتأمل صنائع الله ليتأمره . وقد شغفها علم الأحياء واستغرقتها تلك الأسرار الكامنة في الخلائق .

وقد لمست فيها الأخت أنجيلا رئيسة المدرسة هذا الشغف العلمي ، فشجعتها وأوفدتها في بعثة للحصول على الماجستير في علم الأحياء من كلية العلوم .

وكانت تيريزا تدرس للتلاميذ في الصباح . وفي المساء تحمل كراساتها كتلميذة مجدة لتتابع دراساتها العالية في الكلية .

وكانت حياتها الجديدة ولقاؤها اليومي مع الحياة في الكتاب ولمسها لهذه الحية في المعمل يجعلها ترتجف نشوة .

حينما تضع عينيها على الميكروسكوب ترى مدة الحياة رأى العين ، وتكاشف سرها ومكنونها فى تلك العلبة السحرية التى اسمها (الخلية الأولى) ، ذلك الحيوان البسيط الذى يتألف من خلية واحدة عريانة بلا جلد ولا عظام ولا أجهزة معقدة ، مجرد قطرة جيلاتينية تتحرك وتعقل ما ينفعها وما يضرها ، وكيف تتحرك هذه القطرة بلا أرجل وبلا أهداب وبلا زعانف وبلا عضلات ، كيف تبصر الضوء بلا عين وتسمع الصوت بلا أذن وتأكل الطعام بلا فم ، ثم تهضمه بلا معدة وتمتصه بلا أمعاء ، كيف تتنفس بلا رئة ، وتميز نفعها من ضررها بلا عقل ، وكيف تنفث السم فى عدوها بلا غدة ، وكيف تقوم بهذا العديد من الوظائف المعقدة وهى البساطة بعينها بل هى البساطة المطلقة مجرد قطرة من شىء شفاف .

كان ما تراه تحت العدسة السحرية شيئاً باهراً

وكانت قطرات العرق تتجمع على جبينها الأبيض الناصع وقلبها يدق من الرهبة وكأنها أمام قدس الأقداس

فها هنا السر المحجب يطل عليها بوجهه الشفيف ويتكلم بلغة فصيحة ..

ولكن أين مَنْ يعلم سر هذه اللغة ..

الله وحده عنده العلم ، وهو يـهبـه لأحـبـابه واصـفـيـائه وزملاؤها ينادونها بالأخت تيريزا

الأخت الطيبة النقية تيريزا .

لا أحد منهم استطاع أن يجاوز هذه الحدود الأخوية ، وما كان يلقى إليـها من كلام خـارج هذه الحدود ، لم تكن تفـهمـه ، لأنها كانت دائما مشغولة بشيء آخر .

كانوا يقولون لها .. أنت جميلة .

وكانت تبتسم، فالجمال عندها له معنى مختلف عن مقاصدهم الجمال عندها هو الذى تتطلع إليه في غروب الشمس وفى طلعة القـمـر وفى جذع الفـراش وفى غـلالات السـحب ، أما الجـمـال الأنثـوى الذى يتكلمـون عنه فلم تكن تعـرفه ، فلـم يسبق لهـا أن تفحصت ملامحها في مرآة ، ذلك الغرور المألوف الذى تستمتع به كل امرأة فى سنها ، لم تعرفه ، تكويـن عقلها الدينى أبعدها دائما عن هـذه النظرة المزهـوة إلـى جسـمهـا وذلك التعـشق المفتـون لذاتها .

ونستطيع أن نقـول بأنها لم يسبق لهـا أن رأت جسما أبدا فـما تلبسه من أردية فضفاضـة كان يحجـب عنها تفاصيل جسمها كان يحجـبـه عن الآخرين وعـدم استعمـالها لأى مسـاحيق أو طلاء

لوجهها أو صباغ لشعرها لم يعقد بينها وبين المرآة تلك العلاقة الحميمة ، التي تقضي فيه الساعات تتفحص نفسه كما تفعل الأخريات .

كانت الأخت تيريزا نسيجاً وحده بين النساء

كانت أشبه بهاملت الحائر المشغول العقل والفؤاد

كانت عاشقة للطبيعة والحياة محبة للمعرفة ، سابحة بعقلها وراء علل الأشياء ، تتساءل ، وتبحث عن الحية في بكارتها لتستلهمها الجواب

ولهذا صفقت بيديها كالطفلة في ذلك اليوم القائظ من أغسطس حينما قالت لها رئيسة مدرسة الراهبات أنجيلا ، إنها اختارتها لتشرف على رحلة المصيف ، وأنها حجزت فندقاً منعزلاً في شاطىء غير مطروق ، لتقضي فيه الراهبات شهر صيف جميل بعيداً عن الفضول والازدحام .

إنه لقاء آخر بالطبيعة ..

بالسماء والبحر والرمال البكر ..

بالليل والصمت والسكون حيث لن تسمع إلا همس الطبيعة في أعماقها ، وحيث كلمة السر تقولها الروح ، ويغشيها الليل والصمت .

أية سعادة

كانت تيريزا تجهز حاجياتها القليلة فى لهفة وكأنها ذاهبة في لقاء حبيب .

وما أقل حاجيات تيريزا في المصيف .

لم تكن تعرف شيئاً عن الأرواب البشكير الأنيقة ومايوهات البكيني ، والشماشب المحلاة بفصوص الفيروز والسطلونات الهيلانكا والقبعات الملونة

وإنما هي مثل عسكري المرور كل ما يعرفه عن الفرق بين الصيف والشتاء هو الأفرول الأبيض بدلا من الأفرول الكاكي

وأفراول تيريزا ذو أكمام فضفاضة وهو يسدل حتى القدمين..

وعلى الرأس كاب أبيض يغطي الشعر كله

■ ■ ■

وما أسعد تيريزا حينما التقت بالبحر .

إن وقفة الشاطىء أشبه عندها بالوقفة أمام محراب ، وهذا البساط الأزرق هو كمائدة مذبح مصنوعة من الزمرد

والرمل الأبيض اللؤلؤى كأنه ماس مسحوق

وذلك النسيج الذى يتخلل اللحم ويعانق الخدود

وذلك التناســـق الموسـيـقى بـين تشكيلات السـحب وألوان الغروب .

وتيريزا المنشواة فى غرفتها بالفندق تطالع مصادفة تلك المرآة الكبـيـرة المنصـوبة على الحـائط . وترى لأول مـرة ذلك التدسق الموسيـقى الجميل بين أجـهزة جسمـهـ ، خصـرها الدقيق المرهف وصدرها الناقر ، وكتفيها المستديرين فى نعومة ، وردفها الممتلئين وحبائل شـعرها الثرى مثل سنابل القمح ، وجـيـدها المرمرى وهو يحلق من بين كـتفيـها فى انسيـاب رشيق ، وعينيـها الواسعـتين كبحيرين من عسل وأنفها الدقيق المتسائل

وقفت مبهوتة لحظة

وكأنها ترى لأول مرة امرأة لا تعرفها

وغـضت من بصرها فى خـجل غـامض وتضرجت وجنتيها بحمرة قرمزية

وعـادت لتختلس النظرات فى حياء وانفعال إلى تلك المرأة البضة كبـرعم مغسـول بالندى وغمغـمت فى صوت خـافت مضطرب تيريزا

وكأنها تنادى حقيقة مغيبـة فى أعماقها ، وتتعرف على نفسها

التي تاهت من ألوف السنين .

وراحت تتحسس شعرها وعنقها واستدارة كتفيها بأنامل نحيلة مرتجفة مبهورة

وشعرت بأن الدم يصعد إلى رأسها ، واحتاحتها فورة من الحمى والعنفوان فأسرعت ترتدي ثيابها في ارتباك كأن هناك ألف عين تراها من ثقوب الباب ، ثم خرجت تجري على الشاطىء تطلق ساقيها بأسرع ما تستطيع وكأنها غزالة يطاردها سهم صياد

وكان الشاطىء خلاء في تلك الساعة من الليل

موات . وسكون ..

لا صوت سوى تلك الوشوشات الرتيبة يهمس بها الموج المتكسر على الرمل

وكتبت تيريزا في مذكراتها تلك الليلة ..

كنت أرتجف بشعور غامض وكأنما انفجرت داخلي ينابيع الحب والشوق دفعة واحدة ، فغمرتني واكتسحتني مثل قشة في عباب .

كانت تستبد بي رغبة في احتضان كل شيء كل شيء كنت

أريد أن ألقى بنفسي عارية في البحر وأحتضن الموج وألمس حفيفه وأباشرها وألثم روحه وأشمها

كنت أقول لنفسي لن يراني أحد في تلك البقعة المعزلة من الشاطىء في تلك الساعة من الليل .

لا أحد سوف يطلع على جسدي العارى سوى الله ، والله يرانى دون أن أخلع ثيابي والله يرانا جميعاً على حقيقتنا

إنه لا يخفى عليه شيء ، يستوى عنده أن نكون عراة أو محجبين إننا دائما عراة أمام بصيرته النافذة .

كان البحر يناديني وكأنه حضن أمي

وخلعت ثيابي في نشوة طفلة تريد أن تهرع إلى أمها لتحميها وألقيت بنفسي في الماء ، وارتجفت أعضائي لذة وسعادة ، وشعرت بأن الطبيعة تحتضنني وأنا أحتضنها ، وشعرت بدغدغة مخدرة تسرى في بدني كله ، وشعرت بأني أذوب وأتلاشى وأفقد فرديتي وأصبح مجرد جزء من كل ، مجرد خلية في جسم رائع متكامل اسمه الطبيعة

وخيل إلى كأنما الوجود يهمس إلى

ومن أعماق الظلام والسكون جاءني صوت أليف أعرفه ، إنه صوت ابن عمي الذي تركته منذ سنوات في أسيوط

أنا أحبك يا تيريزا وسوف أنتظرك .

لن أتزوج ما دمت حرمت على نفسك الزواج بدخولك سلك الرهبنة .

سوف أنتظرك حتى أموت أو تعودى إلى ، أنا أحبك .

وفهمته ، فهمته لأول مرة في تلك اللحظة ، وعرفت ما الذى يشعر به حينما يقول ، أنا أحبك ، سوف أنتظرك حتى أموت

وفهمت لماذا تنقنق ذكور الضفاضع بالليل لتنادى إناثها ، ولماذا تتجمل الطواويس ، ولماذا يتلون الورد ليجذب الفراش فيلقحه ليخصب ، ولماذا للأسد لبدة من الشعر الثائر وللديك عرف ، ولماذا يطن البعوض ويغنى البلبل ويصدح الكروان ، ويهدل الحمام ويصهل الحصان في لحظة لقائه مع أنثاه ، ولماذا تضيء الحباحب كأنها القناديل لتدل رفيقتها على مكانها

ولماذا أوقد الله كل تلك الشموع في محفل الحب والحس

ولماذا بارك الله بيده هذه الشجرة من التزاوج

ولماذا وشج بيده هذه العلاقات وعانق بينها

ولماذا خلقنا الله ممدودى الأذرع تائقين إلى العناق

فقد كنت في تلك اللحظه ممدودة الذراعين أنا أيضاً تائقة إلى

عناق .. تائقة إلى عناق .

لم يكن صـوت الخطيئـة هو الذى يـتكلم داخلى وإنما صـوت الطبيعة وإرادة الله

وكيف تكون إرادة الله خطيئة ؟

إنها إرادة الله أن نتعانق تحت خميلته الظليلة

وهذه الموسـيقى صـوته وهذه الفـرحة فـرحتـه وهذه الألوان المبهجة زينته التى علقها بيديه ترقص تحتها كل الخلائق

وشعـرت برغبـه فى أن أغنى وأزغرد وأسبح عـارية إلى الأبد بلا خجل فليس فى الطبيعة ذلك الشىء الذى اسمه الخجل إن الأشجار لتتباهى بأزهارها وهى أعـضاؤها التناسلية وتضعها فى أظهر مكان وكأنهـا نياشين شرف وكأنـها فـخورة مزهوة لأن الله خلق لها هذه الأعضاء التى تلد بها وتتكاثر وتنجب ملايين البذور

رأيت البراءة حولى فى كل شـىء .. وتساءلت فى حيرة

لماذا لم يقل لنا الآباء الذين عـاشـوا حياتـهم يتـأملون الزهر والثمر وانقطعوا فى البرية يستمـعون إلى الطير ويصـغون إلى وحوش الفلاء ، ما قالت لهم الرمال والفيافى والجوع والحضر أم أنهم لم يسمعوا شيئاً ، ولم يفـهموا تلك الصرخة التى تصرخ بها كل الأحياء فى ضراعة لكى تستمر وتخلد

لماذا وصموا كل شيء بوصمة الخطيئة ؟

وكيف تكون الطبيعة خطيئة ؟

وكيف تكون أعصائها خطيئة ؟

وكيف تمحو إرادة الله ما رسمته إرادة الله ؟

إلهي بوركت يدك التي رسمت الجمال على كل الخلائق .

إلهي ما أجمل كتابك هذا الذي كتبته من سطور الليل والبحر والسماء والنجوم ، ومن صفحات المروج وتغريد البلابل وزقزقة العصافير .

إلهي كيف أخجل من نفسي وقد خلقتني

■ ■ ■

كانت الأخت أنجيلا رئيسة الدير تنظر مشدوهة في الاستقالة التي قدمتها تيريزا من سلك الرهبنة ، وتقرؤها مرة بعد مرة غير مصدقة

وقالت أنجيلا في صوت حزين وهي تنظر إلى تيريزا الواقفة أمامها في دهشة

- أما عدت تحبين الله ياتيريزا ؟

أجابت تيريزا بصوت يختلج بالعظمه

- بل أحبه .

وسكتت لحظة لتردف بصوت خافت

- إنما أحبه الآن بطريقة مختلفة

وتمتمت أنجيلا بصوت خافت مرتجف

- تيريزا .. إني لا أفهم ..

أختاه المقدسة إنما حاولت أن أفهم أنا الأخرى ورأيت أني سوف أخدم الله أكثر وأنا خارج الدير

- تيريزا .

- إنما أردت أن أكون أكثر محبة للدنيا والناس

تيريزا كفى هذه خطيئة أنت تعطين نفسك للرجل بدلاً من أن تعطيها للرب .. وهذا دنس .

- أستطيع أن أصون جسدي من الرجل ولكن كيف أصون عقلي من التفكير فيه ، إن ما أبذله من جهد سوف يعذبني أكثر ، إني سوف أكون كمن أرادت أن تصون جسدها من عضة الكلب فأعطته عقلها ينهشه ، وهذا أبشع

- رباه كفى ، هذا تجديف ، لا أريد أن أسمع كلمة واحدة

وحينما خرجت تيريزا ، واختفى آخر صوت لخطواتها في الممر الطويل المحاط بالأشجار كانت أنجيلا تمسح دمعة انحدرت على خدها وتهمهم لزميلتها الأخت العجوز لورا

- أكان خطأ مني أني أرسلت تيريزا لتتعلم ، أيخرج كل من تعلم عن ناموس الدين وطريقه لماذا يتركوننا بعد قراءة تلك الكتب ؟

وردت لورا :

ما كان يجب أن يقرءوا تلك الكتب فما يوجد شيء يستحق أن يقرأ في الدنيا سوى الكتاب المقدس

- بل إني لأحب كتابي المقدس أكثر كلما قرأت الكتب الأخرى. ولا أفهم كيف لا يقربنا العلم من الله وهو الحقيقة الكبرى لا أفهم

وكانت الأخت لورا العجوز الشديدة التدين ما زالت تصر على أنه لا يجب أن يقرأ شيء سوى الكتاب المقدس ، ولا يجب أن يتعلم هؤلاء الأطفال سوى الكتاب المقدس ، وأن ما عدا ذلك تجديف

وكانت أنجيلا تهمس والدموع تخنقها

- ولكني لا أفهم . لا أفهم ..

السجين

المريض الجديد الذى جاءوا به من السجن وأغلقوا عليه باب الغرفة رقم ٥ بالمستشفى ، لم يذق طعم النوم من شدة الحر

لقد مضت عليه ساعات وهو يذرع الغرفة ببصره ويتأمل نافذتها العالية التى تسدها القضبان ، فلا يجد فرقا بينها وبين الزنزانة التى كان فيها .

ربما كان السرير والكومودينو ، والطبيب الذى يمر عليه والممرضة التى تعطيه الحقنة ، تؤلف نافذة إضافية يطل منها على الخارج ، ولكنها زنزانة فى النهاية وكل الزنازين واحدة

وتلفت نحو شق فى الحائط تدخل منه الشمس فى خيط رفيع كدبوس المرض ، ثم عاد فركز بصره على النافذة التى تسدها القضبان .

وكان وهج الشمس يلمع فى النافذة والحر يجثم على

استشفى مثل خيمة من اللهب ، والمرضى يغطون فى النوم ، وقد تراخوا على الأسرة مثل شرائح اللحم المسلوق وقد فقدوا القدرة على الحركة إلا هو فقد ظل يتقلب فى فراشه

وما لبث أن قام ، وغادر الغرفة ، ومشى طويلا فى الممر حتى بلغ الباب ، ومن الباب كان يرى خيمة الضابط النوبتجى ، وشاهد الديدبان يدور كالنحلة فى الصحراء حول مبنى المستشفى وقد حمل بندقيته

وانتظر حتى اقترب منه الديدبان ثم قال له في صوت خافت

– شاويش عطية .. إدينى سيجارة .

– ممنوع

– طيب عاوز أكلم حضرة الضابط

– ممنوع .

طيب عاوز أطلع أقعد شوية على الباب أنا حاموت جوه ، نفسي حايتخنق .

ممنوع بقولك يا فندى

هو أنا هارب ياشاويش ، دنا جنبى مفتوح وعامل عمليه

– مش شغلي ، الأوامر كده .

وكان وجه الشاويش جامدا وهو يتكلم عن الأوامر ، وكان

التعب يبدو من تحت ملامحه الجامدة ، وعيناه تتألقان كجمرتين ملتهبتين

كان الشاويش مريضا .

ومضى يترنح ليكمل داوريته ، بينما ظل السجين واقفا يتأمل شبحه الطويل النحيل وهو يختفي عند المنحنى ، ويفكر في الحر الذي يلسع ظهره كالكرباج .

وظل واقفا في مكانه مدة طويلة ، لا يدرى كم من الزمن ربما ساعة ، أو أكثر ، ثم أفاق أخيرا على صوت أقدام تقترب ، وشبح نفرين يحملان شيئا في محفة .

وحينما اقتربت الأشباح ، استطاع السجين أن يميز الشيء المحمول في المحفة .

كان الشاويش عطية نفسه وهو يهذى من ضربة الشمس .

■ ■ ■

وفي المساء ، نزل السجين مرة أخرى ليقف أمام الباب ، وكان المنظر هو نفس منظر الصباح ، لم ينقص منه شيء ، إلا الشاويش عطية الذي مات ، والشمس التي غابت وحلت محلها ملاءة سوداء تلف الصحراء كلها .

وكان الديدبان الجديد شاويش عوضين ، يذرع الرمل أمام الباب وقد حمل بندقيته

وفكر السجين لحظة .. ثم نادى بصوت خافت

شاويش عوضين .. إديني سيجارة .

– ممنوع .

طيب عاوز أكلم حضرة الضابط

– ممنوع .

– طيب عاوز أطلع أقعد شوية على الباب ، أنا حاموت حوه

– ممنوع بقولك يا فندى ..

– هو أنا حاهرب ياشاويش دنا ..

– مش شغلى ، الأوامر كده .

ومضت لحظة أخرى خيل للسجين فيها أنه يرى الأشياء بالعكس ، حتى لقد بدأ يتساءل .. مَنْ يكون سجين هذه الأوامر ومَنْ الذى يذهب ضحيتها .. هو .. أم الشاويش

لقد مات عطية .. أما هو فما زال حياً يتنفس ملء رئتيه ، وخيل إليه وهو يطل من القضبان أنه حر طليق فى غرفته ، وأنه يطل على شاويش غلبان مسجون فى الصحراء ، لا يدرى أحد متى تضربه الشمس هو الآخر فتقتله ..

مـادة الأحــلام

كـان ضمن أعـمالي في ذلك اليـوم أن أقابل صـاحب فيـلا السلام ..

فيلا السلام ؟ نعم هي بعينها فيلا السلام !!

وقرأت الاسم مرتين وسرح خيالي .

وشعرت بسعادة لا حد لها .

إنه الحلم الذي ظللـت عشـرين سنة أحلم به وقـد تحـقق أن أدخل ذلك القصر الرائع الذي كنت أدور حوله وأنا طفل

وعدت بي الذاكرة إلى تلك الأيام الحوالي وأنا صـغير أجرى في الشارع ببنطلون شورت وقـميص مهدل نصـفه محشو في البنطلون ونصـفه مدلى على جـانبيه ، وحذاء ربـطه مفكوك على

الدوم ، وفي يدى كراسات الحساب والعربي ، وكتاب الديانة ، ولفافة بها خبز وجبن هي غدائي طول اليوم

وأنا أمر كل يوم في طريق المدرسة وفي طريق البيت على هذا القصر العجيب ، فيلا السلام الذي كنت أتوقف عنده ، وأشب على سوره .. لأطل على الحديقة في الداخل ..

وعاد إلى ذهني إحساس الانبهار الذي كنت أشعر به كلما رفعت رأسي الصغيرة ورحت أتجول بها في مشارف القصر

السلم الرخامي الصاعد في تؤدة وجمال كأنه صاعد إلى السماء ، والببغاء الأحمر الذي يقف في قفصه عند المدخل ، ويتلفت إلى كل مَنْ يصعد ليصرخ في وجهه مرات واضحة ، أهين . والنافورة التي تخرج من فم أسد صغير من المرمر وسط الحديقة .

والأشجار العجيبة التي لا أعرف من أى مكان جمعها ذلك البستان الهرم ، أشجار الجوز والزيزفون والليلث ، وعرائس اللبلاب والورد البلدى المخضب بحمرة دموية ، المتهدل على الأسوار ..

وما أكثر ما سرقت وروداً من هذه الورود البلديه ورشقتها على صدرى ورحت أشمها في تلذذ .

وأشجار الليمون والجوافة والمانجو والموز ، والفسقية التي كان يقول عنها الأولاد إن فيها جنية تخرج بالليل لتخطف الأطفال

والبرج الرشيق الجميل الذي يصعد ويصعد ويكاد يخرق السماء بقمته الرفيعة المدببة كسن الدبوس ، وعليها ذلك التمثال لديك منفوش له عرف أحمر ، يبدو وكأنه يؤذن

وكان من عادتي أن أطيل النظر إلى ذلك الديك وكأني أنتظر منه أن يصيح فعلا ويؤذن فعلا .

وكنت أسمي البيت ، البيت أبو ديك .

البيت أبو ديك .. !!؟ نعم هو نفسه .

ووضعت يدي على خدي وسرحت لأعود بكليتي إلى هذه الصورة من الشوق والحنين الغامض .

كنت أشتاق وأتحرق شوقاً كلما مررت بذلك البيت ، لأن أدخله، وأتسلل إلى غرفاته ، وأتفرج على أبهته ، وأقف تحت تلك النجفة التي كنت أراها تتلألأ من الشارع ، وكأنها عقود من النجوم

وكنت أتمنى لو كنت صاحب ذلك القصر

وهل أستطيع ؟

وهل يمكن أن أكون صاحب ذلك القصر

لا بد أن صاحب هذا القصر هو الجن نفسه

وكنت أحلم في تلك الليالي الخوالي وأنا أغمض عيني أني ادخل القصر ، وأنام على سرير من ذهب وآكل في أطباق من فضة ، فهكذا يعيش ذلك الرجل صحب ذلك القصر ، وهكذا ينام ويأكل .

ولا شك أنه يشرب كثيراً من العسل .

وكنت أحب العسل كثيراً في تلك الأيام

ويفطر بالجاتو ، وكنت أحب الجاتو كثيراً

آه ، لكم تمنيت أن أفتح عيني فأجد نفسي صاحب هذ القصر ولكم درت حول أسواره ، ورشقت رأسي بين خصاصها وبقيت ساعات أتفرج ، على ما يجرى داخل هذا المكان الحرفى .

ولكم طفشت من المدرسة ورابطت على باب هذه الجنة أراقب سدنتها وملائكتها ، وهم يروحون ويجيئون

واليوم وبعد عشرين سنة ، وقد كبرت وأصبحت موظفا كبيراً في الأقاف ، انتدب لمهمة التقي فيها بصاحب هذا القصر

حقا ، إنها لسعادة ، سعادة لا توصف

والحق أني كنت سعيدا – سعادة لا توصف ، وأنا أعد الأوراق اللازمة ، وأجمع أطراف القضية التي أذهب بصددها

كنت أشعر أنى ذاهب إلى طفولتى ، إلى أحلامى ، إلى موعد مع امرأة عشت طول حياتى أعشقها .

وكان وترا فى قلبى يرتجف وكأنى ما زلت طفلا ، وكأن هذه الشعرات البيض التى بدأت تزحف على رأسى ليست إلا وهما

وفى الطريق كنت أستعيد طفولتى مع كل خطوة ، وكنت أتذكر مواطىء أفراحى وأحزانى ، وأرى مشاعرى مرسومة على كل منعطف

من كان يصدق ؟ أنى سوف أدخل إلى البيت أبو ديك أنا لطفى عبد السميع الذى كان يأكل الجبن القريش والخبز ويحملق من خصاص هذا السور منذ عشرين سنة

ما أسرع ما تتغير الدنيا .

وحينما دخلت من البوابة كان أول شىء نظرت إليه هو الببغاء وكان يبدو عجوزا جدا . ولم يكن ينطق كما كان ينطق زمان

وكان السلم متربا والفسقية جافة .

وكانت الجدران باردة

وكان الخادم الذى صاحبنى إلى غرفة السيد صاحب القصر

لا يتكلم ، وكانت الممرات الطويلة الموحشة وهي تردد وقع خصواتنا تبدو مثلجة شديدة الرطوبة .

وكنت أتلفت حولي في خوف ورهبة ، وحينما دخلنا إلى حجرة السيد صاحب القصر وهي حجرة نوم ، لم يتحرك السيد من مكانه ، وظننت أنه يستعلى على موظف بسيط مثلي ، وخطر لي أن أثور لهذا السلوك ، ولكني حنما اقتربت منه وجدت أنه مريض مشلول ، في فراشه لا يتحرك .

وكان يكاد يتكلم ..

قال لي إن ابنه الوحيد الذي حدث لأخذ توقيعه مريض في مستشفى الأمراض العقلية

وبصم بأصبعه على الأوراق التي قدمتها له وقال لي بصبر نافذ ، وقد بدأ يسعل سعالا لا نهائيا .

هل تريد شيئا آخر

ولم أكن أريد أي شيء آخر .

وكانت السحقة الهائلة كعنقود النجوم تهتز فوق رأسي ، وكان له تأثير آخر غير التأثير القديم . كانت ترعبني بصليل الكريستال الذي يخرج منها

وحينما كنت أنزل على السلم الرخامي في بطء وبقلب مثقل ، كان الخادم يقول لي إن السيد مشلول هكذا في فراشه منذ ١٥ سنة ، وإن ابنه الوحيد قد ولد ضعيف العقل ثم اشتدت حالته حدة مع المراهقة ولم يعد هناك أمل في شفائه

هل تتفضل قليلاً في غرفة الاستقبال لتستريح وتشرب فنجاناً من القهوة .

– لا .. أشكرك ..

لعلك لا تحب القهوه عندنا شاى جيد وجانو

– لا .. لا ، أشكرك .

– إن الجو بارد ، وغرفة الاستقبال مكيفة وتستطيع

– أشكرك لقد انتهت مهمتي ..

وحينما كنت أضع قدمي على الباب ، كنت أشعر أن هذا القصر الذى سكنته أوهامى عشرين عاماً يتبخر

يتبخر تماماً ، كمادة الأحلام

رسالة من الجحيم

هل يمكن أن تكون البراءة ذنباً ، والفضيلة ورطة ، والعفة سقطة تستدعى الكفارة ، والندم أشد الندم

إن أحكامنا تتوقف على الزاوية التى ننظر منها إلى الأشياء ، وإذا وقفنا على رءوسنا فيمكن أن نرى الأشياء مقلوبة ، ويكون هذا أمراً طبيعياً ومع هذا فزوجتى لم تكن تقف على رأسها لكى ينقلب كل شىء فى نظرها .

وأقدم لكم زوجتى أولاً . السيدة فريدة علم الدين

اسمها يدل على أنها من بيت قديم محافظ ، وهذا هو الواقع لشعار إياه الذى يردده كل العرسان فى باب إعلانات زواج . بنت طيبة من بيت قديم محافظ تقدر الحياة الزوجية مستعدة لفرش أربع غرف

الشهدة لله إنها فرشت خمس غرف وصالة ، وإنها طيبة ، على الاقل على ما يظهر من سلوكها فى أيام التعارف الأولى .

ولكن الطيبة أيضاً أمر يختلف تفسيره عند كل طيب وطيبة فيمكن أن تكون الطيبة هى الغفلة ويمكن أن تكون العبط . وفى قول آخر إنها الكرم واليد السخيه وقول ثالث إنها الدروشة وحج بيت الله والصلوات الخمس فى أوقتها

وفى قول رابع إنها التوكل وترك كل شيء للخلاق ، وفى رأى مودرن انها المجاملة والتملق واستقبال كل الناس بالأحضان والقبلات ومسايرة الزمن وفى رأى مودرن آخر هى الجد وقول الجد ..

اسألة إذن تختلف فيها وجهات النظر .

الكلمة واحدة .. ولكن لها ألف معنى ..

ولهذا لن ينفع أن أقول لك إن السيدة فريدة عبد الدين من بيت طيب وأنها طيبة وإنما يجب أن أدخلك معي بيتها بيت الهنا الذى دخلته لترى ماذا فعلت بى طيبتها

كانت أول كلمة قالتها لى

ألا يكفيك أنك قد تزوجت بكرا ولا انكار لا وجود لهن فى هذا الزمن . أشهد أنها كانت بكرا بالفعل ، أما بقية الجملة فلا أستطيع

أن أجرم بصحتها فليست عندي إحصائية فيها عدد الأبكار من سات هذا الزمن ، وإن كنت أشعر بالدهشة من السؤال ، فهل مفروض أن أقبل الأرض وأرجع أمامها شاكراً حامداً لأنها بكر وهل هذا شأنها أم شأني ؟

هل احتفظت ببكارتها احتراماً لجسمها وصيانة له ، أم أنها احتفظت بها كميدالية تقدمها عند الطلب وتتقاضى ثمنها

يبدوا أنها كانت لها وجهة نظر مختلفة جداً في مسألة البكارة هذه لأنها راحت تتقاضىني ثمنها ، وكأنها ورطة وقعت فيها ودس يستدعي منها أشد الندم ، فقد فعلت هذا من أجلي ، ولهذا أنا لا أستحق النعمه ، يالها من غلطه .

لأعوضها إذن عن هذا التلف ، أقصد عن هذه العفة أقصد عن هذه الطهارة

كل يوم مر في حياتها ينص بلا ماص يطالبني بجريرته

وكل حبابة تسمع أن النساء يرتكبنها ولا تفعلها تنقلب نكداً على رأسي ، فهي شريفه بين نساء كلهن كلاب ، وهي عفيفة بين زوجات كلهن قذرات ، حاصر على عيني ورأسي ، ماهو المفروض أن أفعله

أي شيء لا ولن يرضيها .

لا بد أن أطفح الدم ، شجاراً ونقاراً كل ليله انتقاما مني لهذا الشيء الذي لم نفعله ..

وأنا رجل لي عمل

وهي لا تفهم كيف يمكن أن يكون للروح عمل غير زوجته .

أقول لها كل يوم إني مهندس مسئول ، وإني أقوم بعمل جسيم، هو تخطيط مدينة ، وهو عمل يحتاج إلى كل أعصابي

أي مدينة .. !!

وهل توجد مدينة سواها هي وسوى حبها ، أدور في فلكها ، هي التي ادخرت كل شبابها من أجلي ، لم تنظر إلى رجل ولم تعط نفسها لإنسان ولم ولم . ولم واحتفظت بنفسها بكراً (أشهد وأبصم بالعشرة أنها كانت بكراً . ولكن هل معنى ذلك أن أقتل نفسي)

تغار من نجاحي وتتمنى أن أفشل ولا يعود لي عمل سواها ولا يهم بعد هذا أن نجوع ونتعرى مادمنا معا ياحبيبي ، كذب طبعاً فأنا أعلم أنها أحبتني لنجاحي ، وإني لو أصبحت الفاشل الخائب الذي يتبعها كظلها ما وجدت في الشيء الذي تحبه ، ولأصبحت موضوعاً منتهياً ، هو الموضوع الذي قتل بحثاً ولم يعد فيه شيء يثير .

تحبنى وتتمنى أن تكرهنى ، تتمنى لو ضبطتنى متلبساً بفعل شنيع يسقطنى من عينيها لتستريح وتقول لكل واحد انظر ماذا فعلت من أجله وماذا فعل الكلب ، أنا التى حافظت على نفسى لم يمسنى بشر ولم يطلنى إنسان وىم ولم ولم تقول هذا لا لتقنعه ولكن لتبرر لنفسها مستقبلا بهيجاً خالياً من الموانع تنوى عليه فى ضميرها فما دام الرجال كلهم كلاب ورجلها أكثرهم نباحاً فيالها من عطلة لا يجب أن تتكرر تلك العفة ، تلك الورطة التى تورطت فيها ..

تقول لى كل يوم لقد تغيرت ، حبك تغير

طبعاً حبى تغير إلى أحسن .

كان حبى قبلات وضمات فأصبح حبى هو أن أمنحها عمرى كله ووقتى وراحتى من أجل أن نبنى معاً حياة أعظم لنا وللناس

كلام فارغ ، فين أيام شهر العسل كنت مشغوفاً بى كل لحظة، لا أفكار فى ذهنك سوى أين نسهر هذا المساء

يا ست حب شهر العسل هو الحب الصغير ، كان كل منا يحاول أن يعطى للآخر أما الآن فنحن يحب بعضنا بعضاً الحب الكبير ، نحاول أن نعطى حبنا للدنيا وللمجتمع أنت تعطيه طفلاً، وأنا أخطط مدينة .

كلام فارغ مجتمع إيه وبتاع إيه أنت لم تعد تحبني دائما سرحان تفكر لا بد أنك مشغول بامرأة أخرى ، وهذه قسمتي وهذا نصيبي المهبب ، أنا التي حافظت على نفسي لم يمسسني بشر ، ولم يقربني رجل ولم ولم ولم ولم، وأخذتني بكراً . خسارة فيك وفي عينيك ..

انصرافي إلى عملي لا يبعث فيها إعجاباً أو احتراماً ، وإنما يبعث فيها الغيظ والغل والحقد تقتحم على لوحاتي وتنظر إليها كأنها عشيقة أو ضرة لو استطاعت لفتحت رأسي لتفتش فيها ، ولحجرت على أفكاري .

تقول لي إنها تحبني ولكنها في الواقع تحب نفسها ، فكل ما تعطيني من نفسها تندم عليه وتحاسبني عليه وتقاضيني عنه، حتى ماضيها الذي لم أكن شاهداً فيه تطلب مني تعويضاً كاملا عن ما فيه من عفة وفضيلة .

الحب عندها هو أن أكون في كل لحظة مبذولا من أجلها مكرساً من أجل ملاطفتها ومجالستها .

يبلغ بي العذاب أحيانا للدرجة التي أتمنى فيها لو كنت تزوجتها راقصة بشلن في شارع محمد على وقد مرت على ألف رجل ورجل لتتركني لراحتي وحريتي ربما لو كانت أخطأت لكانت أصبحت أكثر فهما

وفى لحظات اليأس التام والاختناق حينما أشعر بأنها تجثم بمطالبها على صدرى .. وحينما تصبح المشكلة هى حرية أو لا حرية ..

ساعتها أطلب الحرية بأى ثمن بالطلاق .. بالفراق .. بالموت .. أنجو بجلدى وبو سلخ جلدى .. فلا سعادة أصيلة بدون حرية وملعون أبو السكارة اللى بالشكل ده .. فماذا يعنى كونها زوجة بلا ماض .. إن ما تفعله وليس الشيء الذى لم تفعله هو القضية ..

إن ما نفعله هو المهم .

وليس ما لم نفعله ..

إن ما نفعله هو حقيقتنا .. هو شخصيتنا . هو مساهمتنا التى نكافأ عليها .. أما أن نتفاخر لأن شيئا ما لم نفعله فهى نكتة .

والغيرة يا سادة .

الغيرة العمياء التى تتلمس الأسباب فى دقة تليفون أو نظرة شباك أو خطاب أو شعرة مجهولة النسب على الجاكتة أو تذكرتين سينما منسيتين فى الجيب الجوانى (وهما تذكرتان تكون قد ذهبنا بهما أنا وهى والله العظيم) .

هذه الغيرة ليست دليل حب ، وإنما ذريعة تسلط وتحكم ووسيلة للضغط والقهر ، وإحكام الإقفال والترابيس حول العقل والمخ وخيط من حرير يلتف حول الرقبة حتى يخنقها . وحتى

تبلغ الروح الحلقوم ، وحتى أهتف أن المتهم العليان مقسماً بأغلظ الأيمان إني أحبها ، والله العظيم حبها وحدها فقط ، لم ولن أنظر إلى غيرها ، في أي يوم وفي أي بلد وفي أي قطر

ولكن لا ضمان من يؤكد له أن كلامي هو الصدق ؟

الغباء الشديد يريد أن يتأكد .

وأنا لا أستطيع أن أقدم ضماناً أكثر من القسم وأكثر من أن أبكي وأنشنج وأحلف على نفسي بالعمى وعلى أهلي بالموت إذا كنت كاذباً

ولكن الغباء الشديد يريد أن يتأكد .

من يضمن لها أني لم أكذب في جميع هذه الاقسام المغلظة وماذا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا .

أنتحر لأقدم الدليل .. ؟!

أشنق نفسي ؟

وبعد المحاكمة الرهيبة يعود الغباء ليتكلم

أنت لم تعد تحبني كما كنت تحبني الأول

– وأي دليل أقدمه على حبي أكثر مما أفعل كل يوم أشقى

وأتعب ، وأهلك وأضع بين يديك ثمار تعبي

- أنا لا يهمني الفلوس (كدابة فهي تهتم جداً بالفلوس ولم تتزوجني إلا بعد أن اطمأنت إلى إيرادي)

إنها ليست الفلوس إنها العمر وشقاء العمر وكد الدهر وعرق الجبين الليالي الطوال وسهاد السنين أسلمه لك راضياً مرضياً هل يفعل هذا زوج يحب أم زوج يكره لست عندك ذرة عقل

لا عقل .. لا ذرة عقل ..

وإنما غيرة حمقاء وأنانية تعمي الرؤية ورغبة في الامتلاك والتحكم والتسلط باسم الحب ، الحب الغلبان المسكين المفترى عليه

احترت كيف أفتدي حريتي ..

حاولت أن أفتدي نفسي ورقبتي بفلوسي بالجنون بالتشنجات بدون أمل ..

ولكنني حر .. وحريتي زادي وقوتي ..

- وأنا أجمل امرأة في مصر

الجمال ليس تقاطيع الجمال سجايا وخلق وسماحة وأنت لا تكشفين لي إلا الوجه القبيح من وجودك

أنت لا تشعر بأنوثتى ولا ترى فتنتى ، إنى أوقف المرور فى أشد الشوارع ازدحاما ، ولا أعود مرة إلا وعربة تطاردنى من يمينى وعربة من شمالى »

أنا أنظر إليك على أنك زوجة لا على أنك صيدة

– أنا أنجبت لك أسرة وجعلتك أبا ، بعد أن كنت صعلوكا

أسرة ستتربى فى جو من الجنون وستكون ضحيتك لا هديتك .

– أنا نظفتك ولبستك وجعلتك بنى آدم

أنا لن أكون آدميا إلا لحظة أفارقك ، لحظتها سوف أسترد حريتى واحترامى لنفسى ، وأعود إنسانا أنا طهقت طهقت

هذه هى حكاية السيدة فريدة علم الدين زوجتى سليلة البيت المحافظ ربة الصون والعفاف التى بلا ماضى

وبلا مستقبل أيضاً .

درس فى الخشونة

كانت خيمتنا منصوبة فى العراء . وكانت هذه أول تجربة لى أخرج فى رحلة من هذا النوع ، أحمل على ظهرى زمزمية وأنام على سرير سفرى من الجيش وأمشى فى وهج الظهيرة فى أرض وفى التراب ، وأتناول غذائى من التمر والخبز الجاف وعلب السردين بدون الماء المثلج وزجاجات الصودا ، وبدون فنجان شاى فى الهيلتون ، وبدون الاسترخاء السعيد بعد الحمام الساخن فى البيت .

كان الاسترخاء هذه المرة على أرض مغطاة بالشوك مرصعة بالحصى ، والماء الوحيد الممكن الحصول عليه هو ماء مالح من بئر اردوازية ، والقميص الوحيد الذى ألبسه قميص تيل كاكى ، أين هذا القميص من قمصان النيلون والارلون التى ألبسها فى

القاهـرة ، الله يجـازى الشـيطان .

والشيطـان هنا هو صـاحبـى الذى زين لى هذه الحمـاقة وظل يغريني بها حتى اقتنعت . اقتنعت بأنى رجل رخو أمارس حياة بليدة مرفهة لا تخـتلف عن حياة النسـاء المترفات ، عيشة نواعمي ، تنقصها الخشونه والرجوله .

وكنت أنظر إلى صـاحبى هذا وهو جـالس على باب الخيمة يأكل، وأراقبه وهو يلتقط التين ويأكله بترابه وطينه فـأشعر بالاشمـئزاز من هذه القذاره التي يسميهـا خشـونه ، وأحاول أن ألفت نظره إلى الميكروبات التى يبتلعها بالملايين مع كل قضمة من هذا التين أو الطين فيرد على وهو يبتسم

- ومـا له الطين ؟ .. النبات عايش على الطين .. والـورد بيفطر ويتغذى ويتـعشى طين .. الحصان الرشيق الجميل القوى بياكل الحـشيش بطينه .. الطيور وحيـتهـا الرئيسـيـة الرمل والطين .. الحيوانات دى بتعمل إيه في ملايين الميكروبات اللى بتبلعها

فأقول له في غباء .

- بتعمل إيه ؟

فيه فـي معدتها أحـماض تذوب الميكروبات وتتغذى عليـها

الحياة لها ألف حيلة .. المعقمين المحنطين اللى زيك اللى بياكلوا مطهرات وبرمجيدت بيعطلوا حافز الحياة فى أجسامهم وتكون النتيجة إنهم يمرضوا ويفقدوا القدرة على الكفاح ، اسمع نصيحتى .. وكل طين .. أنا جايبك النهارده علشان تأكل طين .

الله يجازى الشيطان

وأكلت التين أو الطين .

ورأيته ينزع الخيمة ويخرج المعدات ويحمل المؤونة على ظهره ويذهب إلى العربية الجيب . فاستبشرت خيراً بأننا عائدان إلى القاهرة فى النهاية بعد هذا اليوم القاسى فى هجير يوليو ، ولكنى رأيته يدير عجلة القيادة إلى اتجاه آخر ويدوس على البنزين لينطلق بالعربة فى طريق طويل متعرج ، وبعد ساعة كنا ندخل فى طريق صحراوى ، ونترك الوادى بألوانه الخضراء وراء ظهرنا

– إنت رايح بينا فين .

– إحنا طالعين على الواحات .

– واحات إيه ياراحل يامجنون .. فيه حد يروح الواحات فى الحر ده

وتشبثت بيده أحاول أن أثنيه ولكنه كان يزداد عنادا كلما

حاولت مقاومته ، واستسلمت فى بؤس و نا أعزى نفسى بأنى أكتسب خشونه ، وأنه حافر الحياة إلخ إلخ ولكني كنت غير مقتنع بحكاية حافر الحياة هذه لأنى قلت بعد لحظات

نفرض دلوقت أن العربية غرزت بينا فى الرملة الناعمة دى نعمل إيه ؟

ما هى لازم تغرز ، وإيه الفرق بيننا وبين التلاميذ اللى طالعين فى رحلة مدرسة إذا كانت العربية مش حا تغرز

ومنين حاتتربى فيك روح المغامرة ، إذا كنت حاتروح الو حات وترجع زى ما بتروح النادى كل يوم يبقى عملنا إيه

وكانت الشمس عمودية ، والرمال من حولنا بمج اللهب ، والطريق أمامنا وخلفنا يبدو خاليا تماما من أى مخلوق ، والصحراء المترامية على الجانبين ليس فيها شجره أو حيوان أو خيمة أو أثر حياة ، بيداء جرداء تشويها الشمس ، وكان صاحبى يتكلم عن حافز الحياة ، وأنا لا أرى أمامى ذرة حياة حلقى جاف ولا أجد القوة لأرد عليه ..

الحياه مش فى الراحة والأمان ياما حاتشبع راحة لما حاتموت ، ساعتها حاترقد على جنبك ما تغيروش بدل السنه ألف

سنة ، منتهى الاستقرار ، الحياة مش راحة ، الحياة تعب وأخطار ومعامرة ومجازفة .

كلام معقول ، لكن الحر أقوى من أى معقول والصداع الذى دق فى راسى ، والعرق والوهج الذى يعمى العين ، وأحقابى التى بدأت تثقل ، كل هذا كان يجعلنى لا أفهم شيئاً ، والعن اليوم الذى سلمت فيه قيدي لهذا المجنون معامرة إيه وأخطاء إيه ، أنا كان مالى ومال الشقا ، وأنا حاستفيد إيه من الخشونة دى

وكنت أشعر بالندم لهذه الفطنة التى جاءت بعد أوانها فلم يعد هناك حل ، لمسافة بيننا وبين القاهرة التى خلفناها وراءنا طالت وأصبح طريق العودة يكلفت جهداً أكثر

مفيش حل .. أمرى لله

وكانت قد مضت عشرون ساعة منذ تركنا القاهرة خلفنا فى أسفار متواصلة .

وكنت أستعرض فى ذهنى كل قصص الرحالة الذين تاهوا فى الصحراء وماتوا من العطش ، وأكلتهم الذئاب ، وأتخيل هذه لنهاية التعسة .

منْ يدرينى بأن صاحبى يسير فى الطريق الصحيح ، وإنه لم

يصل . والطريق المتعرج الذى لا ينتهي يؤكد لي هذه الظنون

ولا أثر لكشك مرور على الأفق . أو إشارة . أو علامة . أو سهم يشير إلى أى مكان على الأرض ..

لا يمكن أن يكون هذا الطريق المهجور مؤدياً إلى شيء !

وإذا انسدل علينا الظلام ونحن نخبط في هذا الخواء ، مهددا نفحص ننام في السيارة ، وإذا طالت الرحلة دون أن نعثر على راحة أو نبع ماء ؟ .

وإذا انتهت المؤنة وفرغ الزاد .

وإذا تفجرت إطارات العربة ، وهي لابد منفجرة إذا استمر سيرنا بهذه السرعة على هذا الرمل الملتهب ساعة أخرى

وأدرت بصرى في الجهات الأربع باحثاً عن معالم المدينة لا شيء حتى ولا عمود تلغراف . خواء تام ، وعزلة كاملة

لو حدث لنا شيء في تلك اللحظة عليها العوض . وسطرة واحدة إلى تموين من الطعام والشراب ، أيقنت من الكارثة ، إنه يكاد يكفينا يومين مع الاقتصاد الشديد وبعد هذا

نربط الأحزمة على بطوننا ، ونموت ببطء

وطار عقلي شعاعاً

وفكرت أن أكشف صاحبي بهذه الظنون ولكني آثرت الصمت حشية أن تكون الظنون في محلها . فأفقد البقية الباقية من شجاعتي

ولاحظت أن العربة بدأت تبطيء في سيرها فحمدت لصاحبي حسن تصرفه فهو لا شك يخفض من سرعة السيارة حتى لا ينفجر الكاوتش في هذا الحر القاتل

ولكن العربة أبطأت أكثر وأكثر ثم وقفت تماماً

واستدار صاحبي ليواجهني وكان وجهه شاحباً بلون الشمع . وقال بصوت لاهث

- البنزين خلص .

وظننت في البداية أنه يمزح ، ولكن وجهه الذي غاض منه الدم، وأطرافه المثلجة ونبراته المتهدجة ، أكدت لي أن الكارثة حقيقية وليست مزاحا

بنزين السيارة نفذ ..

معنى هذا أننا باقون في مكاننا إلى ما شاء الله ، رهن القدر

ورهن الصدفة التي تسوق لنا من ينقذن

وســـقط قلبي في ضلـوعي ولكني تمالـكت نفـسي وقلت في غضب :

– واداى البنزين يخلص ، وكنت فين طول الوقت ؟

كنت عـامل حسابي إن إحنـا جانوص بلدة أم كـمام ، ومن هناك نملأ بنزيـن زى ما إحنـا عاوزيـن ونسـتأنف رحـلتنا ، لكن الطريق اللي خدته طلع بيه على سكة نائية غير سكة أم كمام

– وبعدين .

– ولا قبلين .. ننتظر الفرج

قصدك ننتظر الموت ..

وكان قد أشعل سيجارة وعاد إلى لماصته المعهودة

الموت عـمره مـا ييـجى فى المناسـبـات اللي زى دى ، أبويا اشتـرك في حرب فلسطين وحـرب القنال وقاد كتـيبة فـدائية في بورسعيد ، وحارب مع الصـاعقـة ، والآخر مات في الداير غرقان في شبر ميه .. بدون حرب وبدون ضرب ..

وكـان ينفخ في هدوء وبلا مـبـالاة ، فـشـعـرت بالخـجل

وضغطت على أعصابي حتى لا أبدو ضعيفا ، وأشعلت سيجارة ومضيت أدخن في صمت وكأنني نسيت الموضوع تماماً . والحقيقة أنه لم يكن لي شاغل طوال هذا الوقت سوى التفكير في الموت ، وفي حلقي وهو جاف كعود الحطب وبطني وهي خاوية تعض على الهواء ، وجثتي وهي ملقاة في العربة تحوم حولها الطيور الجارحة

أعوذ بالله ..

وامسح على جبهتي ..

هل أنا في حلم ، هل أنا في كابوس ، أم أننا ضائعان فعلا بين الأرض والسماء ؟

وأتلفت حولي ، وأحسب في ذهني الطريق التي قطعناها ، والمدة التي يمكن أن استغرقها لو قطعت هذا الطريق عائدا على قدمي ، والمؤونة ، وأخطار السير في العراء ثلاثة أيام أربعة أيام وعلينا أن نحمل الخيام لنبيت فيها غير ممكن إنه يكون جنونا فالماء لا يكفي ، والسير في مثل هذا الحر القاتل في هذه الصحراء التي ليست بها بقعة ظل انتحار ، وسوف نقطع الكيلومتر في يوم ، ولا فائدة لا يوجد حل سوى انتظار المعجزة

وقرأت الشهادتين وأغمضت عيني ، ثم فتحتهما على صوت صديقي يتحدث مرة أخرى في لماضة .

– إيه رأيك في التجربة الجميلة دي .. أراهنك أنك حتعيش كل عمرك تحكي عنها ، وتقول .. يوم ما واجهنا الموت ، وشفنا الأهوال ، وكافحنا الجوع والعطش ، هي دي الخشونة اللي حاتربي فيك العزم والاحتمال ، وحاتعمل منك راجل تاني غير الراجل الطري بتاع زمان .. وأدي رهان إن ماكنت حارتجع تقوللي بالله بينا نسافر تاني .

مفيش ألذ من حياة الأخطار ..

وكنت ما زلت أهدهد أملاً عزيزاً بأن صاحبي يمزح ، أخطار إيه .. هو فيه حد عاقل يروح النار برجليه مش معقول .

وتلفت حولي في العربة باحثاً عن صفيحة بنزين أو تنك يخفيه صاحبي عن عيني ليدخل في روعي أننا مشرفان على الهلاك ، أبداً .. لا يوجد أثر بنزين .. ولا رائحة بنزين ومؤشر الوقود في العداد ينام على الصفر .

وقمت بنفسي أفتش العربة وأفحص الجراك .

لا توجد فيه نقطة واحدة .

إن المسألة ليست نكتة ..

إننا معزولان وسط الصحراء على بعد ألف وستمائة كيلو متر من القاهرة بلا مواصلة وبلا تموين ، على طريق مهجور لا يطرقه إنسان أو حيوان ، ومصيرنا الهلاك .

وتكومت على الرمل في ظل العربة ووضعت رأسي بين كفي ، وكانت الشمس تنحدر نحو الأفق الغربي ، وحرارتها تفتر شيئاً فشيئاً . وتوهجها ينطفيء قليلاً ، ومع كل انطفاءة من هذا النور كان الأمل ينطفيء في نفسي ، لا فائدة . الظلام يزحف ..

الظلام الذي يبتلع في جوفه كل الرؤى وكل الآمال

وكان الرجل الخشن جالساً في السيارة يدخن بلا مبالاة . والشمس تهبط رويداً رويداً ، وقلبي يهبط معها في ضلوعي وخطر لي أن أصرخ بأعلى صوتي ..

ونزل صاحبي من السيارة وجلس إلى جواري

ونظرت في وجهه أبحث عن الخوف والرعب ، كان يبدو متماسكاً وإن كانت أصابعه تقبض على السيجارة بعصبية ، وقلت له وأنا أشير إلى الشمس التي تغرب .

– حاتعمل إيه في الليل اللي جاي علينا

ولا حاجة حاناخد تعسيلة ونريح دماغنا

- تعسيلة إزاى ولو طلع علينا ديب واحنا نايمين

الديب ده أمره سهل ، ياريت كل مشكلتنا هي الديب واخرج من جيبه علبه ثقاب وأشعل منه عودا

- أدى حكاية الديب ، تولع في وشه عود كبريت يجرى زى القطة مفيش حاجة تخوف الديب قد النار

- طيب والثعبان ، لو لدغنا ثعبان

- ولا يكون عندك فكرة ، أنا معايا مصل ثعبان وعقرب فى شنطة الإسعاف .

وشعرت بالاطمئنان لانى مع رجل يعرف كيف يتصرف فى كل مشكلة وسلمت أمرى لله .

وانحدرت الشمس خلف الأفق ، واصطبغ كل شيء بلون رمادى، وسرت فى جسدى رجفة ، ولم أستطع أن أكتم القلق الذى ساورنى .

- واحنا حانقعد كده مستنين لحد إمتى ، ومعقول حد حايعدى فى الطريق المحروق ده

وأجاب صاحبي في هدوء ..

- أمال الأسفلت ده معمول علشان إيه ..

وأشار إلى آثار كاوتش عريض إلى جوارنا ..

- أمال العربية دي إيه ؟ ده طريق عمومي .. كل ساعة بتمر بيه عربية ..

وسرى في الشعور بالاطمئنان والهدوء ، ورأيت نفسي أصفر بفمي ، وكأني في شارع الكورنيش .

ونزل الظلام .. وشعرت بالائتناس بصوتي وأنا أصفر .. وشيئاً فشيئاً بدأت ألاحظ أن هناك صوتاً آخر غير الصفير الذي أحدثه بفمي .

وأرهفت السمع . كان هناك عواء ذئب . عواء مخنوق مسعور .

وحدث كل شيء بعد هذا بسرعة لم تدع لي فرصة للتفكير ..

طوقت العربة قافلة من الأشباح كأنها انشقت عنها الأرض .. قافلة من الذئاب .. تنبح .. وتلهث .. وتعوى ..

وغطس صاحبي تحت العربة من الذعر .. وقد نسى حكاية عود الثقاب الذي يخيف الذئاب ويحولها إلى قطط ..

وحينما التصقت بهيكل العربة لأواجه هذه الوحوش الشرسة فوجئت بأنى أمام عدد من الكلاب الأليفة تتشمم ثيابى وتلعقها .. وكان يقف وراءها أعرابى .

ولم يكن بينها ذئب واحد .

وناديت على صاحبى فى فرحة .

ولكنى لم أسمع جواباً .

واقتضانا الأمر مجهوداً شاقاً ، أنا والأعرابى حتى نجره من تحت العربة وكان مغمى عليه .

وحينما أفاق كان يهذى من الرعب ..

■ ■ ■

وكنا وش الفجر حينما استطعنا أن نمون العربة بالنزين ونعود أدراجنا فى طريق القاهرة .

وكان أسعد جزء فى هذه الرحلة هو طريق العودة ، وأنا جالس أمام عجلة القيادة أقود الساعات الطويلة ، وأبتسم من وقت لآخر لنفسى وأنا أنظر بجانب عينى إلى صاحبى الذى جلس صامتاً كالصنم لا يتكلم عن الخشونة ، ولا عن حافز الحياة ، ولا عن

فلسفة الموت والأخطار ، ولا عن الناس الذين يعيشون حياة رخوة طرية كحياة النساء المترفات .

ومع هذا فقد كان ثمة اعتراف اعـترفته بيني وبين نفسـي لوجه الحقيقة ، فما أكـثر ما غيرتـني هذه الرحلة ، وهذه النصائح التي سمعتها من مدرسـي الفاشل ..

والبرغم من كل شيء .. ما ألذ حياة الأخطار ..

الجمعة
٢٥ يوليو ٢٠١٠م
الرياض
٢:٢٠م
اهداء الى
كل زوار ملتقى
الطب

الفهـــرس

الصفحة

الحصان	٥
الشىء المجهول	١٠
أنشودة الدم	٢٧
رعشة	٤٢
حياة الأعزب	٤٩
الراهبة والميكرسكوب	٥٩
السجين	٧٤
مادة الأحلام	٧٨
رسالة من الجحيم	٨٥
دروس فى الخشونة	٩٥